وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

علم النفس الاجتماعي

المرحلة الثانية

أعداد: م.د. احمد سليمان

الفصل الأول

مقدمة في علم النفس الاجتماعي

التطور التاريخي لعلم النفس الاجتماعي

طريق الوصول الى ذلك فان اساسه هو الاخلاقية

صلة علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الأخرى

المجالات التي يستفاد فيها من علم النفس الاجتماعي

مقدمة فى علم النفس الاجتماعي

يرى بعض الباحثين أن علم النفس الاجتماعي فرع من فروع علم النفس . في حين يرى آخرون بأنه علم مستقل قائم بذاته، ومهما يكن في الأمر فان علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية ويهتم أيضا بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل وهدفه بناء مجتمع افضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة.

وبعبارة اخرى نجد ان موضوع هذا العلم دراسة السلوك الصادر عن الفرد تحت تأثير المنبهات الاجتماعية والنفسية المختلفة وما بينها من علاقات. فيستخدم اساليب التحليل والقياس الدقيق والتجريب والمعالجة الاحصائية للبيانات والمعلومات وملاحظة الارتباط فيما بينها . أي إن علم النفس الاجتماعي يستخدم الدراسة العلمية لسلوك الفرد في اطار المجتمع وتوصف الدراسة العلمية في صورة مجموعة من الخطوات الآتية تحديد المشكلة ،جمع البيانات ، الملاحظات المتصلة بالمشكلة، وتنظيمها. فرض الفروض المناسبة واختيار انسب هذه الفروض واختبار صحة الفروض بالوسائل المناسبة والوصول إلى نتائج وحلول للمشكلة، واستخدام النتائج أو الحلول في مواقف جديدة

والسلوك الاجتماعي تفاعل بين الافراد سواء أكان ذلك وجها لوجه ام اثناء غيابهم. كما أن التفاعل الاجتماعي قد يحدث من خلال الرموز كالإعلانات المكتوبة أو المرسومة فكل هذه وغيرها تصبح مثيرات اجتماعية اذا اصبحت رمزاً للتفاعل.

وعلى هذا الأساس فسلوك الفرد هو نشاطه في محيطه وهو الوظيفة التي تفصح عن طبيعة الفعالية ضمن اطار البيئة ووفقا لذلك تحدد العلاقة التي تصل بين الفرد و بين وسطه الذي يعيش فيه ولا يقتصر علم النفس الاجتماعي على الاهتمام بدراسة مجالات التفاعل بل يهتم كذلك بعملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي والعوامل المؤثرة فيها كالأسرة والمدرسة والمجتمع. ويهتم ايضا بدراسة الامراض الاجتماعية كجنوح الاحداث .

والسلوك المضاد للمجتمع، ويتناول بالدراسة ايضا الجماعة من حيث أنواعها وتركيبها أو بنائها، واهدافها وديناميتاها. ويدرس ايضا الاتجاهات والقيم ، والرأي العام. والدعاية والاعلام والاشاعة وسيكولوجية القيادة ، ودورها في الجماعة . فلعلم النفس الاجتماعي اهمية كبرى في كافة مجالات الحياة ، كالتربية . التعليم. الاعلام الصناعة والزراعة والتجارة والقوات المسلحة . الصحة النفسية والخدمة الاجتماعية .

تعريف علم النفس الاجتماعي

لقد اهتم علماء النفس بدراسة التفاعل الذي يحدث بين الفرد والآخرين ... واهتموا ايضا بدراسة العوامل التي تؤثر في ذلك التفاعل والعوامل النفسية التي تحدث اثناء هذا التفاعل وما ينتج عنها من أساليب سلوكية (فعلم النفس الاجتماعي هو دراسة الفرد في موقف الجماعة أو بصورة أدق الدراسة العلمية لسلوك الفرد من حيث هو فرد في صلته مع الآخرين فيعرفه كلينبرج في كتاب منهجي عام بأنه الدراسة العلمية لسلوك الفرد في علاقته مع الافراد الآخرين. وهو يهتم بالفرد في موقف اجتماعي.

ويمكن تعريف علم النفس الاجتماعي وفقا لما يراه كرتش وكرتشفيلد على انه العلم الذي يدرس سلوك الفرد في المجتمع اي انه يتناول سلوك الانسان داخل الجماعة سواء أكانت الأسرة أو المدرسة أو غير ذلك من الجماعات.

ويعرفه شريف و شريف (١٩٥٦) بأنه الدراسة العلمية الخبرة الفرد وسلوكه وعلاقاتها بالمواقف الاجتماعية المحتوية المثيرات . وتشمل المواقف الاجتماعية كل ما يتفاعل مع الفرد من عناصر الثقافة الاجتماعية مادية أم غير مادية فتشمل الأولى الادوات والآلات المختلفة وتشمل الثانية اللغة، والدين والمفاهيم، والقيم، والمؤسسات الاجتماعية.

واكد بروشانسكي وسيدنبرج (١٩٦٥) على ان هناك اتفاقاً بين كل التعاريف لهذا العلم من ناحية مادته أو شكله. فدراسة الفرد وسلوكه والمجال الذي يتم فيه السلوك أي المجال الاجتماعي يشمل: المجتمع أو الثقافة أو المواقف الاجتماعية ذات الاثر، وقد صنفا تلك المواقف الى الافراد والجماعات والانتاج الثقافي.

ويعد هوللندر (١٩٧١) الاتجاهين اللذين اثراً على البحوث التي تمت في ميدان علم النفس الاجتماعي وهما تفسير السلوك الاجتماعي أي: خصائص -الفرد الناتجة من خبراته الماضية وخصائص الموقف الاجتماعي. فالاتجاه الاول يرتبط بالخصائص الشخصية. اما الاتجاه الثاني فيرتبط بمتطلبات البنيان الاجتماعي بما في ذلك توقعات الآخرين.

ويعرف (هوللندر) علم النفس الاجتماعي بأنه احد الميادين العلمية التي تهتم بدراسة سلوك الانسان دراسة موضوعية. وقد أوضح هذا التعريف ان مجال علم النفس الاجتماعي دراسة الفرد في المجتمع أي سلوك الفرد النابع من خبرته أو من سلوك الآخرين . كما يهتم ايضا بعمليات الاثر الاجتماعي وابسط حالات ذلك الأثر هو ما يحدث في التفاعل الاجتماعي.

ويبدو لنا من غير المفيد ان نستطرد في سرد التعريفات التي تعد تكراراً بعضها للبعض وحرى بنا ان نحاول أن نستخلص منها طبيعة مجال هذا العلم ، ان الامر بلا شك منصب على افراد وجماعات وعلى صلاتهم البيئية. أو هو عبارة عن الدراسة العلمية المنظمة للتفاعل الذي يحدث بين الفرد والآخرين . فنحن في هذا المجال نهتم بدراسة التفاعل والعمليات النفسية المختلفة التي يمر بها الفرد والتي تنمو عن طريقها شخصية الفرد الاجتماعية.

التطور التاريخي لعلم النفس الاجتماعي

من الصعب تحديد نقطة بداية لعلم النفس الاجتماعي، فمن الممكن ان يكون قد بدأ عندما طور الانسان مصطلحات رمزية للتعامل مع الآخرين وبدون شك حصل هذا في فترات ما قبل التاريخ. وأن كلمة « اجتماعي » نفسها تأتي من كلمة سوسيالس (اللاتينية التي تمتد جذورها الى ابعد فترة يمكن أن يرجع اليها التاريخ اللغوي إلى السكريت حيث كانت كلمة سوسيالس تعني يتبع أو يرافق ، وبدورها فأن كلمة (سوسيالس) ذات صلة قرابة بكلمات اغريقية واللغات الرومانسية التي لها علاقة بالتعامل والمشاركة والمبادئ المشابهة.

ان ظهور الحضارة العربية الذي بدأ ببناء المدن كان في وادي الرافدين وبالتأكيد فان ضمان استقرار هذه المستوطنات المبكرة ونجاحها تم بواسطة افرادها الذين طوروا لغة مكتوبة تمكنهم من تسجيل المبادئ الاجتماعية على شكل قوانين وانظمة.

وقد كتب الملك حمورابي» في مسلته هذه القوانين حوالي (٢٠٠٠) قبل الميلاد والتي تعد أول وثيقة اجتماعية اعلنت نظاماً اجتماعيا يستند على حقوق الفرد التي تحميها سلطة الدولة ومما لا شك فيه انها قد أثرت على صياغة القوانين فيما بعد . وقد ظهر الاهتمام بعلاقة الانسان بأخيه الانسان في كتابات عدد من الفلاسفة كأفلاطون و ارسطو.

وقد ركز افلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م) في كتابة الجمهورية موازنة دائمة بين افرد والجماعة الانسانية، فاذا كنا بصدد الفرد فإننا نلحظ انه عنده ثلاث طوائف من الاستعدادات النفسية هي :

1) العقل الذي يقوم على التفكير ويستقر في الرأس.
2) العواطف الكريمة وهي تنبع من القلب.
3) الشهوة ومصدرها البطن.

واذا كنا بصدد الجماعة الانسانية فأنها لا تنتظم الا بتضامن ثلاث من الطبقات الاجتماعية فهي كالتالي:

1) الطبقة الذهبية : وهي طبقة الحكام الذين يسيرون امور الدولة .
2) الطبقة الفضية : وهي طبقة الجند المكلفين بالدفاع عن الوطن .
3) الطبقة النحاسية: وهي طبقة الزراع والصناع والتجار .

وسواء كنا بصدد الفرد أو بصدد الدولة فان المسألة التي يتطلب حلها واحدة بالنسبة لهما وهي : ما السبيل الى الحياة السعيدة ؟ يجب ان يتوافر في الفرد كما في الدولة شروط للانسجام . هي في الوقت نفسه شروط للصحة العامة . فاذا تحققت انتظم كل شيء وساد العدل ورافقته السعادة . اما اذا لم تتحقق فان الفوضى تسود ويسود معها الظلم والشقاء.

فما هي الشروط بالنسبة للفرد ؟ ان تقوم كل طائفه من الاستعدادات النفسية بدورها المخصص لها والذي خصص لها بسبب طبيعتها واهميتها.

اما ما يشترط على الدولة فان عليها ان تؤلف كل طبقة من الافراد الذين هم اهل بالطبيعة لها ، وان تقوم الطبقة بدورها في دقة . كل يستعد لما يتلاءم معه وان تضع كل رجل في المكان الذي يستحقه .

ذلك هو البرنامج الذي يجب السير عليه . فاذا تحقق عند الفرد وعند الدولة فانهما يحصلان على التوازن النفسي والتوازن الاخلاقي. والانسجام . والصحة والسعادة . ولكي تتحقق السعادة للفرد والجماعة يجب ان تكون الطبقة الذهبية هي الطبقة التي يسود عندها العقل . وان تكون الطبقة الفضية هي الطبقة التي تسود عندها المواقف. ما الطبقة النحاسية فتتكون من هؤلاء الذين غلبت عليهم شهواتهم. وان يخضع المواطنون الذين يكونون الطبقة الفضة والطبقة النحاسية خضوعاً تاماً للحكام من الطبقة الذهبية المكلفة بالسهر في اخلاص وحكمة على رعاية الصالح العام .

وعلى هذا الاساس قام افلاطون بوضع مشروع كامل للتربية والتنظيم في الدولة فالمحاربون الذين يعدون للطبقة الفضية يجب ان يسود بينهم الاتحاد التام . لهذا اراد افلاطون ان يزيل من طريقهم كل سبب يؤدي الى الشقاق . فمنعهم من الملكية بتاتا سواء في ذلك النقود أو السلاح أو الملابس أو الزوجة أو الولد . وكل شيء بينهم شاع. وليس لتربيتهم من هدف الا أن تغرس فيهم صفات منها الخضوع نادتهم والوداعة معهم، وأن يكونوا أشداء غلظاء على الاجانب.

اما تربية الحكام فعليهم أن يتعلموا كالجند حمل السلاح. وعليهم أن يكونوا على علم بكل العلوم وهذا شرط اساسي لجدارتهم لاغنى لهم عنه . ثم يجب أن يكونوا قد اعطوا البرهان على اخلاصهم وتضحيتهم للمصلحة العامة . وما من شك في. أن مواقفهم ستكون في كل الظروف الحرجة اشد المراكز خطراً . لذلك يجب أن تمتحن شجاعتهم وروح النظام فيهم. ومهما يكن من شيء فانه لا يجوز ان يقبلوا في ادارة قطر الا بعد بلوغهم من الخمسين، هذا المبادئ اذا طبقت اثمرت وجود مدينة تسير حسب العدالة : فكل شخص يشغل فيها المكان الذي يتلاءم مع كفايته، وينسجم مع وحي قلبه وتكون المدينة متزنة سليمة سعيدة.

ذلك هو ما ذكره افلاطون في أهم نصين تحدث فيهما. وما من شك في ان النصين لا يتحدان في معناهما الى حد التطابق، غير انهما لا يتعارضان وليس ببعيد ان يكون افلاطون قد نظر اليهما كوحدة منسجمة فالعادة لا تتحقق الا بالعمل الحسن.

اما ارسطو (٣٨٤ ٢٨٤ - ٣٢٢ ق . م) فهو أول القائلين بالنظرية الحيوية في تكوين المجتمع فقد فسر سلوك الفرد على اساس الوراثة الحيوية وهو يؤمن بأن الانسان مدني واجتماعي بطبيعته وهو يرى أن المجتمع يتكون من اسر فقبائل فقرى فمدن تكوينا يتم بطريقة عضوية كما يتكون الجسم من الخلايا فالأعضاء فالاجهزة.

يرى ارسطوا ان كل شخص فيما يتعلق بحياته كالرامي امام المرمى . يرمي الى ما يراه خيراً له غير أن هذا الخير لا يمكن اصابته اذا جهلناه وجهلنا الطرق التي تسنح لنا بالوصول الله. ومن هنا تتحد غاية الاخلاق . فهي لا تعدو انارتنا بتحديد الخير والسلوك الموصل اليه.

ويرى ارسطوا ان الخير هو السعادة والسعادة عنده هي ان يكون الانسان رجلا. بمعنى الكلمة. حسن الصورة سليماً متزنا مالكا لثروة تكفيه محفوظاً بجماعة مسالمة، وان يكون فضلا عن ذلك مستنيراً، معتاد التفكير والبحث عالما بقدر الامكان.

اما طريق الوصول الى ذلك فان اساسه هو الاخلاقية

ويقرر ارسطو ان الصداقة ظاهرة اجتماعية ضرورية لان الانسان لا يعيش الا في مجتمع وانه ميال بحكم هذه المعيشة الى ان بعقد ارتباطات عاطفية مع أشباهه من الافراد وهذه المشابهة بين الاصدقاء قد تكون اما من ناحية السكان بأن يكونوا متجاورين مكانيا، أو من ناحية الزمان بأن يكونوا موجودين في وقت واحد، أو يكونوا من عمر واحد، أو من ناحية المنزلة الاجتماعية بان يكونوا من طبقة اجتماعية أو مهنية واحدة ، أو من ناحية التعاطف بأن يكون بينهم اتفاق في المشاركة الوجدانية . أو من ناحية المشارب أو الميول النفسية ، فالشخص يميل نحو من يتخذ نفس مسلكة واتجاهه النفسي. وتدوم الصداقة ما دامت هذه المشابهات متوافرة فاذا نقصت أو انعدمت تضاءلت الصداقة بنقصانها او زالت بانعدامها.

والفضيلة عند ارسطوا ليست مثالية، وانما هي الفضيلة الوسطى التي يمارسها الاوسطون من الناس. والتي يفضلها العقل ولآنها بين رذيلتين واقعيتين يمارسها أقلية من الناس وهما الافراط والتفريط فكان الفضيلة.. عند ارسطو هي ما تواضعت عليه اغلبية الناس بحكم سيادة الميول النفسية المعتدلة . والفضيلة عنده هي تعود القيام بالصواب ولذلك يرى انه يجب ان يعود الافراد بالتربية ممارسة الفضيلة ، لانهم لا يستطيعون التعرف عليها بسهولة.

ومن نظرات ارسطوا الاولى في علم النفس الاجتماعي ايضا اشاراته في كتاب الخطابة إلى نفسية الخطيب ونفسية المستمعين وما ينبغي ان تشتمل عليه الخطبة باعتبارها الوسيط بين الطرفين. فاذا كان الخطيب واثقا من نفسه فتنتقل إلى المستمعين فيقبلون على خطبته وعلى الخطيب ان يعرف ميول المستمعين لأنه سيدخل إلى عقول مستمعيه عن طريق انفعالاتهم وميولهم.

وهو يرى ان العاطفة اعتبار الذات دخلاً كبيراً في تكوين فكرة الانسان عن نفسه تلك الفكرة التي يهمه ان يؤكد له صحتها المتصلون به أو الاكثر منه معرفة أو منزلة اجتماعية.

وبسبب هذه الاختلافات بين افلاطون وارسطو نجد ان معظم الذين كتبوا في /علم النفس الاجتماعي فيما بعد قد اتخذوا اما الفكرة الافلاطونية أو الطريقة. الارسطوطالية لبيان العلاقة بين الفرد والمجتمع، ويعود الفضل الى افلاطون وارسطو في اثارة فضول الرجل الغربي حول معرفة الطبيعة الاجتماعية للبشر.

وهما هو جدير بالذكر ان علماء العرب والمسلمين قد أسهموا اسهاماً بارزاً ولهم فضل كبير في تطور علم النفس الاجتماعي ومن ابرزهم الفارابي الذي يتقف مع ارسطوا في القول بوجود أساس نفسي فطري للحياة الاجتماعية ولكن هذا الاساس الفطري الذي يقول به يختلف إلى حد ما في مضمونه عن الاساس الذي يقول به ارسطو فالإساس الفطري عند أرسطو ميل فطري الى التجمع اما عند الفارابي فهو العجز عن مد الحاجات الاساسية لدى الفرد كما تناول الفارابي موضوع تتماسك الجماعة .

اما ابن سينا فتحدث عن النفس الانسانية ، كما عنى بدراسة الادراك الحسي وقسمه الى احساس ظاهر و احساس باطن وبحث فيهما بحثا مستفيضاً.

وكان الهدف الرئيسي عند الغزالي ان يبحث في نشوء المجتمع الانساني وتطوره، واول ما يبرر وجود المجتمع عند الغزالي هو ضمان بقاء الفرد وسلامته، اذ ان بقاءه وسلامته شرطان لسعادته، والانسان بحاجة الى اخيه الانسان لعجزه عن سد حاجاته وحده.

اما ابن خلدون فقد اتفق مع ارسطو في ان هناك ميل فطري الى التجمع ثم يقرر ان الانسان ميال الى العدوان والظلم . بفطرته ومن هنا جاءت ضرورة المجتمع ووجود حاكم على رأسه ، ثم يتحدث عن الظروف التي يعيش فيها المجتمع بعضها بيئية طبيعية وبعضها اجتماعية وكيف تؤثر في طراز الشخصية السائدة في المجتمع.

وسنفرد فصلاً كاملاً من فصول هذا الكتاب لبيان آراء هؤلاء الاعلام حول الفرد والمجتمع .

ومن العلماء الغربيين الذين ساهموا في تطور علم النفس الاجتماعي جون لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤) الذي اهتم بمشكلة الفرد والجماعة والاهمية النسبية لكل منهما. فالمغالاة في حقوق الفرد دون اي اعتبار لحقوق الجماعة يؤدي الى الفوضى والمغالاة في حقوق الجماعة دون اي اعتبار لحقوق الفرد يؤدي الى الاستبداد . والموازنة بين الفرد والجماعة يؤدي الى الديمقراطية.

يرى جان جاك روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨) في كتابه العقد الاجتماعي ان الانسان بطبيعته خير نقي طاهر . طابعه العام نكران الذات ولكن الحضارة هي التي افسدته وصبغته بالشر.

وبتطور نظرية التطور لداروين في كتابه اضل الانواع (١٨٥٩) تأثير في علم النفس الاجتماعي شأنه في ذلك شأن العلوم الأخرى بهذه النظرية ففسر سبنسر (١٨٩٧) التفاعل الاجتماعي تفسيراً عضوياً حيوياً اي ان المجتمع في نظره جهاز حيوي وان السلوك الاجتماعي يتبع في نموه خطوات خاصة معينة تخضع لقوانين اساسية في تطورها (٢٨ – ص ٥٦).

وقد اثر فونت (١٨٣٢٠ - ١٩٢١) في نمو علم النفسي الاجتماعي تأثيراً واضحاً اذ تعد اعماله التجريبية ذات اهمية في اظهار فعالية المختبر في دراسة الطبيعة البشرية بطريقة علمية.

ويعد دير كهايم (١٨٥٨ - ١٩١٧) خليفة فونت ومؤسس مدرسة الاجتماع الفرنسية . وقد حدد غاية علم الاجتماع ومناهجه على اساس ان الحقائق الاجتماعية والظواهر الاجتماعية تتبع من ضمير الجماعة الانسانية.

وبعد ان سار علم النفس الاجتماعي في الاتجاه العلمي، وفي سنة (١٩٠٨) نشر اول كتابان يحملان اسم) علم النفس الاجتماعي (احدهما في امريكا والآخر في بريطانيا ويعد (ماكدوكل) من اساطين علم النفس الاجتماعي المحدثين ففي كتابه (مقدمة علم النفس الاجتماعي (حرص على اقامة علم النفس على أساس بيولوجي وابرز اهمية الغرائز ووصفها بانها المحدثة الأولى والدوافع الهامة للسلوك وفي سنة ١٩٢٠ اظهر فكر العقل الاجتماعي على ان يسيطر على سلوك الجماعات ويمايز بينها.

ولقد كان للحربين العالميتين الأولى والثانية في النصف الأول من القرن العشرين اثر بارز في تطوير علم النفس الاجتماعي فتوالت الدراسات عن السلوك العدواني عند الافراد والجماعات ودراسة الزعامة أو القيادة سواء في المجتمعات الديمقراطية أو الديكتاتورية والصراع بينهما. كما درست الاشاعات والروح المعنوية والدعامة واثر الاعلام .

وقد توصل ايزنك ابتداء من سنة (١٩٤٤)، وبالدراسة الاحصائية الى الاتجاهات الاجتماعية والتي تنتظم في عاملين النزعة الراديكالية والنزعة المحافظة وقد وجد هذين العاملين في ابحاث العلماء في بريطانيا والسويد والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة مما يوحي بفكرة استقلال الاتجاهات الاجتماعية بالنسبة إلى التأثيرات التي تحدثها على الافراد والمجتمعات الخاصة التي يعيشون فيها.

وكما ذكرنا فقد بدأ اهتمام الباحثين يتخذ شكل حركة علمية منذ حوالي سنة ١٩٢٠ . ومع ذلك فأننا اذا قارنا بين مجموعة البحوث التي نشرت في العقد الثالث من هذا القرن وبين المجموعة التي نشرت في العقد الرابع نجد ان الثانية تمثل وثبة في تاريخ العلم الذي نحن بصدده واذا قارنا بين ما نشر في العقدين الثالث والرابع وبين ما نشر في سنة ١٩٥٠ وجدنا انفسنا امام وثبة ثالثة في تقدم هذا العلم سواء من حيث عدد البحوث او مستوى كفاءتها، وهكذا استمر التطور بفضل الدراسات والباحثين الى ان اصبح علم النفس الاجتماعي على ما هو عليه اليوم .

ان دراسة تاريخ علم النفس الاجتماعي جزء هام في تكوين نظرة الدارس لهذا العلم ان هناك فوائد عديدة نلخصها بما يأتي:

1) ان سعة اطلاع الباحث على محاولات الباحثين الذين سبقوه في هذا الميدان من شأنها ان تزيد من قدرته على التمييز بين الحلول المجدية والغير مجدية لما يعرض له من مشكلات في الموضوع والمنهج.
2) ان اطلاع الباحث على تاريخ العلم وما احاط به من ظروف اجتماعية وما ترتب على تلك الظروف بشكل مباشر وغير مباشر من تشجيع هذا العلم في وقت دون سواه من شأنه ان ينبه لدى الباحث ادراكه للوظيفة الاجتماعية للعلم.

من كل ذلك يتضح ان دراسة تاريخ علم النفس الاجتماعي مسألة لا يمكن اغفالها

<u>صلة علم النفس الاجتماعي ببعض العلوم الأخرى:</u>

لما كان علم النفس الاجتماعي يدرس الجماعات والافراد فلابد أن تكون بينه وبين العلوم الاخرى كعلم النفس العام وعلم الاجتماع وعلم النفس التكويني والانثروبولوجيا وعلم الاقتصاد صلة معينة اذ ان كل هذه العلوم تهتم بشكل وبآخر بالسلوك الاجتماعي.

1. التداخل بين علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي:

ان الاتجاه الراهن يميل بشكل واضح الى المطابقة بينهما، وترجع هذه المطابقة في رأي (كريش وكرتشفليد) الى اعتبارات مترابطة، وان هدف على النفس الاجتماعي هو التوصل الى قوانين عامة عن سلوك الفرد . ويتطلب ذلك فهم العمليات الاساسية التي يتوصل بها الفرد الى تحقيق اهدافه الاجتماعية وكيف يدرك بيئته الاجتماعية ، وكيف يتعلم السلوك الاجتماعي وهذا كله يطابق مبادئ الدافعية والادراك والتعلم التي يهتم بدراستها علم النفس العام.

فيصرح (كلنبرج) بان علم النفس الفردي هو في نفس الوقت ، علم النفس الاجتماعي بالمعنى الواسع لهذا العلم. فكل دراسة نفسية للإنسان يتحتم عليها أن تتناوله في بيئته الفيزيائية والاجتماعية معا لان كلا من عالم النفس الاجتماعي وعالم النفس العام مضطر الى دراسة سلوك الانسان ككائن اجتماعي اذ لا يوجد انسان يعيش في معزل عن غيره من الناس فخبراته مع غيره وعلاقاته

في الماضي والحاضر تؤثر على كل اوجه نشاطه النفسي . ان علماء النفس متحمسين للمطابقة ما بين العلمين فموضوعات علم النفس العام تشتمل على مفاهيم رئيسية ترجع الى علم النفس الاجتماعي كما هو الشأن في عملية (التطبيع).

ويميل كل من (سينج وكومب) بأن علم النفس العام ليس هو العلم الوحيد الذي يتخذ موضوعه في التحقيق في السلوك الانساني والتنبؤيه فكل العلوم الاجتماعية تعمل بذلك أيضا.

2. علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع:

وان التمييز بين علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع اصعب بلاشك فعلم الاجتماع يهتم بتكوين الجماعات ومتطلباتها وقواعد الانضباط التي تفرضها الجماعة على افرادها كما يقوم بدراسة الكيفية التي يتم بها تغيير الجماعات والنظم الاجتماعية ويؤكد (وارد) على ان علم الاجتماع تتمخض عنه سائر العلوم بطريقة تلقائية ... فالعلوم الاجتماعية الخاصة هي وحدات تأتلف ائتلافا عضويا التخلق علم الاجتماع ولكنها تفقد فرديتها تماما كما تفعل الوحدات الكيميائية . هكذا يكون علم الاجتماع علم العلوم .

وأما (سبنسر) فانه تناول علم الاجتماع. وكان موضوعه هو الكون بأسره. وكانت الفترة الاساسية عند (دور كايم) هي ان يجعل من علم الاجتماع - علماً كسائر العلوم الاخرى – يبحث عن مواضيع خاصة به تبحث بالمنهج الموضوعي. وقد اهتم دور كايم بدراسة المنظمات الاجتماعية والانظمة الاجتماعية الراسخة.

اما (بلوندل) فيقول بان الجماعي يوجد ضمن (الشعور) فالمجتمع لين البتة الخارج عما يسمى الافراد فالظواهر الاجتماعية ليست بأشياء فهي معمولة ومعاشة بوساطة الاشخاص.

ونستخلص من هذه التعاريف ان علم الاجتماع يهتم بدراسة التنظيمات الاجتماعية بينما يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة الفرد داخل تلك التنظيمات اي كيف يتفاعل مع غيره ضمن الجماعة . اذن يقوم بدراسة العوامل النفسية التي تدخل في تكوين الجماعات . وبعد في رأس الكثيرين من الاسس التي يقوم عليها علم الاجتماع. اذ يكون للعوامل النفسية دور كبير في تكوين التنظيمات الاجتماعية وتطورها وما يعتريها من تغيرات. وعلى هذا فان هناك ثلاث مستويات في علم النفس الاجتماعي هي : مستوى سلوك الفرد . ومستوى سلوك الجماعة ومستوى المنظمات والانظمة الاجتماعية وفي هذا ما يرغمنا على القول بأن علم الاجتماع يتطابق مع علم النفس الاجتماعي فكل من العلمين يهتم بمظاهر مختلفة لحقيقة لا يمكن تجزئتها. فالأفراد لا يمكن فهمهم بمعزل عن

علاقاتهم مع بعضهم البعض ، والعلاقات لا يمكن فهمها منعزلة عن الوحدات التي تتم بينها هذه العلاقات فلم يعد البحاث اليوم أن يضع الفرد مقابلي المجتمع وانما ينظر اليه على انهما متلازمان وعلى انهما وجهان مختلفان لكل واحد.

وعلى هذا ينبغي أن نسلم بأن موضوع علم الاجتماع هو النشاط الانساني وابداعاته. ان العلم النفس الاجتماعي هو حركة متصلة بين علم النفس وعلم الاجتماع. بين مستوى سلوك الفرد ومستوى المنظمات والانظمة الاجتماعية . بين العناصر والكل . بين الافراد والمجتمع لذا فانه من العسير ان نفضل بين علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي.

3. علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التكويني:

موضوع علم النفس التكويني هو الدراسة العملية لتطور سلوك الفرد في مراحل العمر المختلفة ابتداء من المرحلة الجنينية وخلال مراحل الطفولة ثم المراهقة ثم الرشد وحتى الشيخوخة ، والعوامل المؤثرة في تلك المراحل من وراثة وبيئة.

ومن الواضح ان الدرس الرئيسي الذي يتعلمه عالم النفس الاجتماعي من هذا الفرع هو عدم المغالات في قيمة عوامل البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد في اللحظة عند تفسير بعض التغيرات السلوكية والتنبه إلى قيمة عوامل النضوج من ناحية واثر الخبرات الماضية من ناحية اخرى. أذ يدرس مثلاً كيف تتم عملية التنشئة الاجتماعية. أي تحويل الطفل الى كائن اجتماعي. ويبقى يستخدم الأنماط الاجتماعية ويعبر عنها وكيف يبني في داخل نفسه اتجاهاته وأراءه عن الاسرة والجماعة التي نشأ في أحضانها والتي يعيش فيها وكيف يترك انطباعاته وآثاره على الآخرين . وقد أفاد الباحثون في علم النفس الاجتماعي فعلاً من دراسات علم النفس الارتقائي، ولم تقصر افادتهم على التنبه الى الحدود التي ينبغي لهم ان يلتزموها.

بل تجاوزت ذلك الى ما هو اكثر ايجابية وذلك بأن استعاروا من علم النفس التكويني نظرته الاساسية الى ظواهر السلوك لدى الفرد وتناولوا بها ظواهر التفاعل الاجتماعي . وهذا هو موضوع دراسات التطبيع أو التنشئة الاجتماعية. وقد ابرزت نتائج دراسات علم النفس التكويني اهمية بالنسبة لدراسات علم النفس الاجتماعي اذ ان عوامل النضج لها اهمية في تحديد انماط سلوك الطفل . وان موعد ظهور انماط السلوك الحركي البسيطة محددة بنضوج الانسجة العصبية . وكذلك فإن التعلم مشروط بعوامل النضج وربما كانت التجارب المجراة على النشاط اللغوي تهم دارسي علم النفس الاجتماعي بوجه خاص جملان نصيب المجتمع في تبنيه النشاط اللغوي وتشكيله لدى الفرد يبدو أكبر بكثير من نصيبه في تشكيل مظاهر النشاط الحركي.

4. دراسات الانثروبولوجيا الحضارية :

المعنى الاشتقاقي لكلمة (انثروبولوجيا)يشير الى اننا هنا بصدد (الدراسية العلمية للإنسان) ومعنى ذلك ان دراسات علم النفس وعلم الاجتماع والدراسات البيولوجية البشرية يمكن ان تكون اجزاء من الانثروبولوجيا .

ان تحديد موضوع الانثروبولوجيا قد مر بمراحل متعددة من اهمها المراحل الثلاث الآتية:

الأولى: تحديد أجمالي عام جداً يضم كل الدراسات التي تتناول الانسان من النواحي العضوية والسلوكية.

الثانية: تحديد ضيق يضم الدراسات التي تتناول حضارة الانسان البدائي.

الثالثة: تحديد أوسع من السابق ويتناول الحضارة في اشكالها البدائية وغير البدائية.

لما كان تأثير الحضارة في الشخصية – وتدخل بعض الآثار الحضارية في تشكيل سلوك الفرد (خلال عمليات التطبيع بوجه خاص) هو نقطة الاتصال الجوهرية بين الانثروبولوجيا الحضارية وبين علم النفس الاجتماعي فلابد من الوقوف عند مفهوم الحضارة لتوضيحه قدر المستطاع قبل ان تنتقل الى الحديث عن الفائدة التي يمكن ان يجنيها عالم النفس الاجتماعي من عالم الانثروبولوجيا.

ان معظم العلماء المعنيين بالموضوع يعرفون الحضارة بأنها تتألف من انماط ظاهرة وباطنة . ينتظم فيها السلوك كما انها تفرض عليه ، ويتم تحميلها ونقلها عن طريق مجموعة من الرموز وهي بذلك تؤلف عنصراً تنفرد به الجماعات البشرية. كما انها تضم الادوات المادية التي تستخدمها هذه الجماعات . اما العنصر الجوهري في الحضارة فهو الافكار التقليدية (اي : التي يستمدها الناس أو ينتخبونها على أساس تاريخي) وما يعزى اليها من قيم بوجه خاص.

ويمكن النظر الى الاطر الحضارية من زاويتين، أحدهما مؤداها أن هذه الاطر ناتجة ل عن نشاط سابق والثانية انها عناصر تساهم في تشكيل ما يجد بعد ذلك من نشاط.

نستنتج من تحديد معنى الحضارة الى التنبه الى طبيعة العناصر الحضارية في المواقف الاجتماعية التي تساعد الباحث في علم النفس الاجتماعي على تكوين صورة ذهنية واضحة التفاصيل عن العناصر الداخلة في التفاعل الاجتماعي وكيف تؤدي الى تشكيل جوانب معينة في سلوك الافراد.

كما ان البحوث الانثروبولوجية تثير امام : عالم النفس الاجتماعي مشكلة نقل عناصر الاطار الحضاري من شخص إلى آخر وخلال عملية التنشئة الاجتماعية فمثلاً القيم والسلوك المقبول هذه جوانب من الحضارة لا يمكن ان تقوم الا بواسطة ابناء المجتمع واستمرارها يتم بنقلها من جيل الى آخر.

فعندما ننظر اليها على مستوى التفاعل بين الافراد من خلال عملية التطبيع تصبح موضوعاً من الموضوعات التي يختص بها علم النفس الاجتماعي . وبهذا نجد انه بينما يستخدم عالم الانثرولوجيا مفاهيم الثقافة والعادات لفهم انماط التنظيمات الاجتماعية. يقوم عالم النفس الاجتماعي بتحليل العمليات التي تقوم عليها هذه المفاهيم . اي انه يحاول ان يبين كيف وجدت العادات والتقاليد سبيلها إلى الوجود وكيف تنتقل من جيل إلى جيل.

5. علم النفس الاجتماعي والاقتصاد:

الاقتصاد هو الدراسة العلمية لمجموعة الظواهر الاجتماعية التي تدور مباشرة حول تدبير ثروة المجتمع المادية. ومركز الاهتمام في الدراسات الاقتصادية شبيه بمركز الاهتمام في علم الاجتماع: فهو يتجه الى بعض ظواهر النشاط الانساني في المستوى الاجتماعي وليس في المستوى الفردي. اي دون التوقف عند المستوى الفردي للتفاعل. ففي ميدان النشاط الانتاجي مثلا لائك ان هناك مشروعات كثيرة في كثير من المجتمعات الحديثة ويمكن لبعض فئات المنتجين ان يقبلوا عليها طالباً للربح. وفي ميدان الاستهلاك نجد الفروقات الفردية قائمة وترجع الى عوامل متعددة منها ما يتعلق بحجم الدخل الفردي . والقوة الشرائية التي يمثلها هذا الدخل . ومنها ميول الافراد ومنها مرونة الافراد التي تظهر في قدرتهم على التنازل عن بعض المطالب والاكتفاء بالبعض الآخر فعالم الاقتصاد لا يلقي بالا الى هذه الفروق الفردية فلا يهمه الكشف عن العوامل المتعددة التي تتفاعل فيما بينها لتؤدي بالفرد الى ان يحصل على سلعة معينة بل يهمه الكشف عن عمليات الاستهلاك، هذه بعض اهتمامات علم الاقتصاد . والسؤال الان هو ما الذي يفيده عالم النفس الاجتماعي من الاطلاع على بحوث هذا العلم ؟ والاجابة على ذلك تنحصر اساساً في ان هذا الاطلاع من شأنه ان يزيد من تبصر هذا الباحث بمقومات الموقف الاجتماعي الذي يحيط بالفرد ويدخل بصورة أو بأخرى في تشكيل تفاعلاته الاجتماعية المختلفة.

وفيما يأتي مثال لتوضيح هذه الاجابة، يتحدث الاقتصاديون عما يسمى احلى الاشباع يعرفون بأنه الحد الذي تشيع عنده بعض الحاجات في حدود الممكنات التي تحقق هذا الاشباع "اي في حدود الظروف. الاقتصادية المتاحة للفرد أو الجماعة والتي تحدد له ولها النطاق الذي يستطاع التصرف فيه"، والسؤال الذي ينبغي لدارسي علم النفس الاجتماعي ان يتنبه له في (هذا الموضوع هو كيف يتدخل (حد الاشباع) هذا بتحديد شعور الشخص بالرضا او الاحباط، وما هي العوامل الأخرى التي تتدخل معه ؟ وكيف تتدخل ؟ وما علاقة له ذلك بمستوى التوتر النفسي العام الذي يحيا فيه الشخص والذي يتدخل بطرق مختلفة في تشكيل تفاعلات الشخص الاجتماعية ثم ما قيمة هذه المعلومات كلها بالنسبة للمتخصص في علم النفس الاجتماعي ؟

ويتدخل الاشباع في تحديد شعور الشخص بالرضا والاحباط عن طريق تعيينه لنسبة بين الحاجات التي لقيت الاشباع عند الشخص وبين حاجاته التي لم تلق الاشباع. فاذا غلب على الشخص الشعور بالحرمان والاحباط فذلك نتيجة لكون حد. الاشباع عنده منخفضاً اما اذا غلب عليه الشعور بالرضا فذلك لكون حد الاشباع عنده مرتفعا . ان مستوى الطموح ودرجة مرونة الشخص ومستوى ذكائه العام لا يلقي قيمة حد الاشباع المتوفر للشخص من حيث مساهمته في هذه النتيجة فيحتم علينا ان ندخل ذلك في الحسبان.

المجالات التي يستفاد فيها من علم النفس الاجتماعي

لعلم النفس الاجتماعي اهمية علمية وعملية في مجالات الحياة المختلفة ، فهو يدرس عملية التفاعل الاجتماعي. ويساعد في تفسير أنماط السلوك الاجتماعي للإنسان من اجل العمل على تطويرها ورفع مستوى ادائها في المواقف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية مما يؤدي الى رفع درجة انتاجية هذا السلوك وتيسير عملية تحقيقه لأهدافه وغاياته .

ويستفاد من دراسة علم النفس الاجتماعي في مجال العلاقات الانسانية في مضمار الصناعة والتجارة والتربية والتعليم والصحة النفسية والعلاج النفسي والخدمة الاجتماعية والاعلام وغيرها من التكوينات أو التجمعات الانسانية، وتبرز اهمية علم النفس الاجتماعي بشكل خاص ، في عصر سمته الاساسية للتغير الثقافي والاجتماعي السريع .

وفيما يأتي عرض سريع المجالات الافادة من هذا العلم في كل من المجالات السابقة:

1) المجال التربوي:

التربية في مفهومها الحديث عملية اجتماعية انسانية تشكل بعدا هاما من ابعاد الحياة، فمن خلالها يعد الانسان ليكون قادراً على التكيف مع متغيراتها. وتوفر له فرص النمو المتكامل لشخصيته بأبعادها الاربعة الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي.

وتشكل المدرسة كمؤسسة تربوية نسقا اجتماعياً صغيراً يتكون من الصفوف وجماعات التلاميذ والمعلمين وادارة المدرسة وتربط هؤلاء جميعا اهداف مشتركة وعلاقات اجتماعية إنسانية من انماط معينة تجعل دراسة علم النفس الاجتماعي عملية كبيرة الفائدة الفهم سلوك الافراد وتفسيره وتوجيهه وتنظيم علاقات التلاميذ في اطار هذا النسق الاجتماعي العام.

ان التربية تأخذ من علم النفس الاجتماعي كثيراً من المفاهيم والحقائق والاساليب التي تسهم في انجاح العملية التربوية وتحقيق اهدافها . ان الموضوعات التربوية الاساسية تبين اهمية علم النفس الاجتماعي في مجال التربية).

التنشئة الاجتماعية للمتعلم:

- تكوين القيم والاتجاهات عند المتعلمين
- دور القيم والاتجاهات في التنشئة الاجتماعية .
- ديناميات الجماعة ودورها في تفسير العلاقات الانسانية للجماعات (التلاميذ والمعلمين الادارة المدرسية المجتمع المحلي).
- دور المعلم ومدير المدرسة في قيادة المدرسة .
- انماط القيادة ودورها في تنظيم التعلم .
- التفاعل اللفظي وغير اللفظي في المدرسة وفي غرفة الصف .
- الارشاد والتوجيه الاجتماعيين
- علاقة المدرسة بالمجتمع المحلي
- المعلم عامل تغيير في المجتمع المحلي .

2) المجال النفسي والصحة النفسية:

ان الكثير من الامراض والاضطرابات النفسية تعزى لأسباب عديدة ونادراً ما يوجد سبب واحد للمرض الواحد فهناك اسباب جسمية حيث تؤثر الوراثة والتكوين واسباب فسيولوجية واضطراب الغدد . وكذلك اسباب اجتماعية كتأثير المدنية والحضارة والتطور السريع والتصنيع والعمل والتنشئة الاجتماعية وانظمة القيم واضطراب العلاقات الاسرية ومشكلات اخرى. وتتفاوت اعراض الاضطرابات النفسية فمنها اعراض جسمية فسيولوجية ومنها اعراض اجتماعية كالقلق والصراع والاحباط والنكوص والتعصب وغيرها. وفي ضوء ما تقدم نرى ان عملية العلاج النفسي لمن يعانون من الاضطرابات النفسية المختلفة ينطلق في تشخيصه وطرائقه واساليبه من الناحية الاجتماعية ومن معطيات علم النفس الاجتماعي .

3) المجال الاعلامي:

العملية الاعلامية سواء أكانت عن طريق الصحافة ام الاذاعة والتلفزيون ام عن طريق الدعاية والاعلانات أو اللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات المحلية أو الدولية توجه في مجملها الى عقل الانسان واتجاهاته وقيمه وأنماط سلوكه المختلفة في الإطار الاجتماعي الذي يحيى فيه.

بمعنى ان العملية الاعلامية تتم في الاطار الاجتماعي وهنا يتدخل علم النفس الاجتماعي. وتتضح الصورة اكثر اذا حددنا اهداف العملية الاعلامية ان اهداف العملية الاعلامية متعددة وهي:

أ- اكساب الناس معلومات وافكار معينة او تصوير ما لديهم من معلومات وافكار وحقائق أو تغيير تلك المعلومات واستبدالها بمعلومات جديدة.

ب- اكساب الناس اتجاهات او قيم او عادات او ممارسات جديدة مرغوب فيها او العمل على تغيير وتطوير ما لديهم منها او التخلي عنها كليا واستبدالها باتجاهات وقيم وممارسات جديدة كلياً تخدم غاية او هدفاً معيناً .

ت- اقناع الناس بفائدة شيء معين او اهميته وقيمته وسواء أكان هذا الشيء سلعة أم بضاعة ام سلوكاً ام فكراً ، وحفزهم على تقبله أو تبنيه والتمسك به او الدفاع عنه .

ولكن لا تكون اهداف العملية الاعلامية ايجابية دائماً، فمع انتشار وسائل الاعلام الجماهيري والاتصال الجماعي اخذ الانسان يعيش في لحظات حرب دائمة هي الحرب النفسية الاعلامية. ويتعرض في كل مكان يتواجد فيه الى مؤثرات تهدف بوسيلة او بأخرى الى دفعة لاعتناق فكرة او شراء سلعة او اداء عمل معين، لا يخفى ما في كل هذا من الاخطار على شخصية الفرد وقيمه.

وهناك موضوعات مرتبطة بعلم النفس الاجتماعي من جهة ومرتبطة بالمجال الاعلامي من جهة اخرى...

- الاتجاهات . وطرائق تكوينها وتغيرها وقياسها.
- القيم . وطرائق تكوينها وتغييرها وقياسها.
- الرأي العام ورفع الروح المعنوية.
- العلاقات الاجتماعية ودراسة المشكلات الاجتماعية.
- التواصل والاتصال والحرب النفسية ، وطرق التصدي لها.
- القيادة وطرق تفسيرها وفهم الشخصية القيادية.

وهكذا نرى ان الاعلام والعلاقات العامة والدعاية ودراسة الرأي العام والقيم والاتجاهات لها دور كبير في التأثير على سلوك الافراد والجماعات ويمكن ان تكون ، اذا احسن توظيفها وتوجيهها . عاملاً هاماً من عوامل التقدم الانساني، ويمكن ان تستفيد وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير والعلاقات العامة الى اقصى حد من علم النفس الاجتماعي في تدعيم وعي المواطنين بمسؤولياتهم الاجتماعية والوطنية. وربط الانسان الفرد في نضاله اليومي بحركة المجتمع كلها، وتكوين اتجاهات سليمة وتعديل ما يحتاج منها إلى تعديل بالطرق العلمية كالدعاية والمناقشات واتخاذ القرارات الجماعية وغيرها من مجالات التواصل والتفاعل.

4) مجال الصناعة والعمل:

تسهم دراسات علم النفس الاجتماعي اسهاماً كبيراً في مجال الصناعة والعمل . وذلك بما توفره هذه الدراسات من فهم للعلاقات النفسية والاجتماعية التي تسود بين العمال ، وادراكه للعوامل المختلفة التي تؤثر في اقبالهم على العمل وانتمائهم له . مما يؤدي الى رفع روحهم المعنوية وزيادة الانتاج.

ويساعد علم النفس الاجتماعي في دراسة سلوك العاملين في المنهاج والمؤسسات وتحليله وفهم سلوكهم الاجتماعي في نطاق التفاعل فيما بينهم من ناحية وفيما بينهم وبين المشرفين عليهم من ناحية ثانية ، ومن ثم العمل على تنظيم هذا التفاعل وتوجيهه لمصلحة العمل والعمال .

وتتعدى فائدة علم النفس الاجتماعي في مجال الصناعة عملية تيسير فهم سلوك العمال وضبطه وتنظيمه وتوجيهه الى عمليات تحسين قدرات العمال وكفاياتهم الانتاجية عن طريق وضع معايير اختيارهم وتدريبهم ، وتحسين العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وبين ارباب العمل والمساهمة في حل مشكلات العمل والعمال بطريقة علمية تؤدي الى تعزيز انتمائهم ورفع روحهم المعنوية ودفع عجلة الانتاج الى الامام A 3

5) مجال الخدمة الاجتماعية:

الخدمة الاجتماعية هي طريقة علمية لدراسة المشكلات الاجتماعية وتنظيم سلسلة من النشاطات والاجراءات الخاصة المخططة التي تسهم في معاونة الناس والمؤسسات الاجتماعية الموجودة في المجتمع على التصدي لتلك المشكلات ومحاولة حلها وهكذا نرى ان الخدمات الاجتماعية تقوم بدور مؤثر في تنشيط عمليات التفاعل الاجتماعي الايجابية وتحسين العلاقات الاجتماعية بين الافراد والمؤسسات في شتى المجالات.

في ضوء ذلك يجب ان تتوافر في العامل الاجتماعي العلم والدراسة في عدد من الموضوعات منها :

1) الجماعة خصائصها ، انواعها وبناؤها.
2) حركية الجماعة وأسسها النفسية والاجتماعية .
3) عملية التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي.
4) الادوار الاجتماعية في اطار النسق الاجتماعي.
5) سيكولوجية القيادة وانواعها.
6) الامراض الاجتماعية وما يتصل بها من مشكلات.

العلم النفس الاجتماعي بفروعه التطبيقية دور بالغ الاهمية في خدمة الجيش ورفع روحه المعنوية بأعتباره مؤسسة اجتماعية تبنى فيها شخصيات أفراده وتنمو خبراتهم وكفاياتهم على اسس علمية سليمة تقوم على الفهم والوعي والتماسك والتعاون والتكامل .

ويهتم علم النفس الاجتماعي ايضا بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية التي تؤثر في الحرب النفسية مثل الشائعات والدعاية والاعلام .

الفصل الثاني

علم النفس عند المسلمين

الفارابي

ابن سينا

الغزالي

ابن خلدون

علم النفس عند المسلمين

يعد العلماء العرب والمسلمين من بين اعلام الفكر التربوي البارزين الذين اغنوا التراث التربوي العالمي بما قدموه من آراء تربوية كان لها أثر كبير في تطور العملية التربوية ونموها عبر التاريخ حيث ما زال كثير من المربين المحدثين يستشهدون بها في بحوثهم ومعالجاتهم للمشكلات التي يتناولونها لأثرها الكبير في توجيه التربية والتعليم .

والحقيقة إن للعرب والمسلمين قصب السبق في كثير مما يتناوله علم النفس والتربية في الوقت الحاضر. لذلك يجب أن نعنى بأحياء التراث والعمل على تطبيق مبادئه ، بحيث لا تأتي اصلاحاتنا التربوية من فراغ . او يعتمد على استيرادها فتأتي نشازاً غريبة عن التربية الاسلامية والعربية، بل يجب ان تكون امتداداً طبيعياً لتراثنا الاصيل واذا كنا نفخر بأننا ابناء ارقى حضارة عرفتها الانسانية بل هي. الحضارة التي علمت الانسانية جمعاء وكانت السبب الرئيسي في قيام النهضة الغربية. فالأولى بنا ان تنقل الى حيز التطبيق العملي والعقلي مبادي هذه الحضارة وأسسها . وسنتناول أبرز أولئك العلماء .

الفارابي هو أبو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ . ولد في بلدة وسيج قرب فاراب على نهر سيمون في بلاد الترك سنة ٣٩٥ هـ . وما كاد يبلغ اشده حتى هاجر إلى بغداد بصحبة والده حيث كان جندياً فقيراً معدما ، وفي بغداد درس العربية وتعلم النحو على يد أبي بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ، ثم غادر بغداد سنة ٣٢٩ هـ . متوجها إلى دمشق وبقي هناك فترة قليلة ثم توجه إلى حلب وبقي في بلاط سيف الدولة الحمداني معززاً مكرماً لعدة سنوات ليست بالقليلة ، ثم اعتقال الناب و بدأ يشتغل بالحكمة والتأليف، وقبل ، أنه تجاوز الثمانين من عمره . وكانت له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفقه والفلك والرياضيات ، وكان من اعظم فلاسفة العرب الذين هذبوا صناعة المنطقة . توفي عام 113 هـ ..

ويتناول الفارابي ايضاً موضوع تماسك الجماعة فيستعرض الآراء الآتية في الاسس النفسية الاجتماعية التي يستند اليها هذا التماسك وهي :

1. تشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك في اللغة واللسنان ...
2. الاشتراك في المنزل .

ويشير الفارابي بطريقة غير مباشرة الى ان السببين السابقين يخصان الجماعة الكبيرة الحجم.

اما الجماعات الصغيرة فمن أسس التماسك بين اعضائها:

1. طول التلاقي.
2. الاشتراك في طعام يؤكل وشراب يشرب.
3. الاشتراك في شر يدهمهم وخاصة متى كان نوع الشر واحداً وتلاحقها فان بعضهم يكون بعض.
4. الاشتراك في لذة ما .
5. الاشتراك في الامكنة التي لا يؤمن فيها أن يحتاج كل واحد الى الاخر مثل التوافق في السفر .

المدينة الفاضلة عند الفارابي

لقد عرف المدينة الفاضلة بأنها المدينة التي يؤدي الاجتماع فيها الى التعاون فيما بينهم في سبيل نيل السعادة الحقيقية ، وحيث قام بدراسة نفسية الانسان وفطرته الاجتماعية ونظام الهيئة البشرية وما عليها لتسعد وتركيبها في هذه الدنيا وتنال المثال الاعلى في تحقيق الكمال ، واكد على ضرورة تعاون الافراد وتكاتفهم وذلك لحاجة الفرد الملحة الى بني جنسه حيث لولا التعاون الذي يسبق في جميع المجالات والحقول كما عمرت الارض ولا كثرت الجماعات ويعمد الفارابي الى تصنيف الافراد وجماعات الناس الى طبقات بعضها فوق بعض في الفقر والمال او الجاه، ويقول : ان هذه الجماعات تتصارع فيما بينها وكذلك الافراد

وقد وصف الفارابي رئيس المدينة الفاضلة بأنه الرئيس الحقيقي للامة ورئيس المعمورة كلها ولا يمكن ان يكون رئيس فوقه بل هو فوق الجميع ولا يجوز لأي انسان ان يكون رئيساً لان الرئيس هو انسان قد استكمل الصفات الحسنة وهو منبع السلطة العليا والمثل الاعلى. فالرئاسة لا تكون الا بشيئين احدهما ان يكون بالفطرة والثانية بالهيئة والمملكة الارادية، وكذلك الرئيس هو الانسان الذي يقف على كل فعل يمكن ان يبلغ به السعادة . وان يكون له مع ذلك قدرة بلسان على جودة التخيل بالقول وان تكون له قدرة على جودة الارشاد للسعادة، وقد حدد صفات رئيس المدينة الفاضلة باثنتا عشرة صفة وهي :

1. ان يكون تام الأعضاء.
2. ان يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له.
3. ان يكون جيد الحفظ لما يقرأ وما يسمعه ويراه ولما يدركه.
4. ن يكون جيد الفطنة.
5. ان يكون حسن العبارة قوي اللسان.
6. ان يكون محبا للتعليم والاستفادة.
7. ان يكون معتدلاً في طلب الملذات.
8. ان يكون محباً للصدق والعدل مكرها للظلم والكذب.

9. ان يكون كبير النفس محبا للكرامة.

١٠.ان يكون محبا للعدل ومبغضا للجور والظلم وأصلهما.

١١.ان يكون عدلا غير صعب القيادة غير لجوج اذا دعي إلى العد، وصعب القيادة اذا دعي للجور أو القبيح.

١٢.ان يكون قوي العزيمة على الشيء ، مقداما غير ضائق ولا ضعيف النفس.

النفس عند الفارابى:

يعتقد الفارابي ان النفس هي صورة الجسد وقوامه وهي القوة التي تعين الاجسام وتساعدها على بلوغ كمالها . والنفس جوهر روحاني بسيط قائم بذاته وليس عرضاً من اعراض الجسم وقد قسم الفارابي النفس إلى أربعة اقسام :

1. القوة الغاذية: وهي القوة التي يتغذى بها الفرد . ومركز هذه القوة هو الفم .
2. القوة الحساسة : وهي القوة التي يحس بها الفرد مثل احساسه بالحرارة والبرودة ولكل حاسة عضو خاص بها وتأتي بعد القوة الغاذية.
3. القوة المتخيلة: وهي القوة التي يحفظ بها ما ارتسم في نفس الانسان من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة الحواس وهذه تركيب المحسوسات بعضها الى بعض وتفصل بعضها عن بعض هذه التركيبات والتفصيلات المختلفة ، بعضها كاذبة وبعضها صادقة .
4. القوة الناطقة ، وهي القوة التي يمكن بها ان يعقل المعقولات ويميز بين الجميل والقبيح وهي واحدة في العدد ورئيسة القوى الحاسة والمتخيلة.

ان الفارابي يتفق مع ارسطو في القول بوجود اساس نفسي فطري للحياة الاجتماعية. ويقول في ذلك:

ولكل واحد من الناس مفطور على انه محتاج في قوامه وفي ان يبلغ كمالاته الى اشياء كثيرة لا يمكن ان يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج الى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج اليه . فلذلك لا يمكن ان يكون الانسان ينال الكمال الذي لأجله جعلت له الفطرة الطبيعية الا باجتماعات كثيرة متعاونين يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج اليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمال . ولهذا كثرت اشخاص الانسان فحصلوا في المعمورة من الارض فحدثت منها الاجتماعات الانسانية".

ولكن يلاحظ ان هذا الاساس الفطري يقول به هذا المفكر يختلف الى حد ما في مضمونة عن الاساس الذي يقول به ارسطو . فالأساس الفطري عند ارسطو ميل فطري الى التجمع وهو شبيه بما سمي في بعض البحوث الحديثة بغريزة التجمع . اما عند الفارابي فالأساس الفطري هو العجز عن سد الحاجات الاساس لدى الفرد.

ابن سينا:

ولد الشيخ ابو علي الحسين بن عبدالله بن حسن بن علي بن سينا في شهر من أبوين اسماعيليين صفر سنة ١٧٠ هـ ، في بلده افشنة بالقرب من بخارى من أبوين إسماعيليين وكان ابن سينا على الرغم من صغر سنه يستفسر من والده واعمامه الذين كانوا من كبار العلماء عما يتفاعل في اعماقه من قضايا فلسفية ومذهبية وعلمية . وأتم دراسة . الادب واللغة قبل ان يبلغ العاشرة من عمره. وقد عكف على دراسة الطب والعلوم الاخرى كالفلك والرياضيات والفلسفة والموسيقى وعلم النفس والتربية.

النفس عند ابن سينا:

تحدث ابن سينا عن النفس الانسانية واهتمامه بها افاق الوصف ، وقدم البراهين الفعلية المقنعة التي تثبت وجود النفس كجوهرة روحانية قائمة بذاتها ، وأصل للقوة المدركة والمحركة في اجزاء الجسم الانساني . اما الوظيفة التي تقوم بها النفس فهي إدراكها المعقولات .. وهذا يدل على تحرر النفس عن الجسم.

يلاحظ ابن سينا ان للنفس جانبين هما:

الجانب الأول: يشترك فيه الانسان مع الحيوان والنبات ويعرف النفس في هذا الجانب بأنها كمال الجسم طبيعي الى ذي حياة بالقوة .

اما الجانب الثاني: يشترك الانسان مع الملائكة فعرف النفس انها جوهرة روحانية تكمل الجسم وتحركه بالاختيار عن مبدأ منطقي عقلي بالقوة للنفس الانسانية.

ويقسم ابن سينا الوظائف النفسية إلى ثلاثة اقسام وهي :

1. وظائف يشترك فيها الحيوان مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية.
2. وظائف يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذي والنمو والتوليد.
3. وظائف تخص الانسان وحده وهي وظائف العقل.

نجد ان النفس عند ابن سينا حظيت بالمقام الاول في جميع ما عالجه من الموضوعات وانه اهتم بها اهتماماً كبيراً ، لذلك فان النفس عنده خالدة، ولها فيها مباحث كثيرة اهمها اثبات وجود النفس حدوث وبيان قواها ووحدتها واكتسابها للمعرفة.

ابن سينا والاحساس الظاهر:

اعتنى ابن سينا عناية خاصة بدراسة الأدراك الحي. فبحثه بحثاً مستفيضا وكانت كتاباته في هذا الموضوع من المراجع العامة التي أثرت تأثيراً كبيراً في تفكير الفلاسفة المسلمين والمسيحيين طوال الاجيال التالية حتى عصر النهضة والاحساس عنده نوعان: احساس ظاهر و احساس باطن فيحدث الاحساس الظاهر عن طريق الحواس الخمس الظاهرة وهي : البصر والسمع والشم والذوق واللمس. ويحدث الاحساس الباطن عن طريق الحواس الخمسة الباطنة وهي : الحس المشترك، المصورة ، والمتخيلة، والقوة الوهمية، والذاكرة الحافظة.

ويعرف ابن سينا الادراك على العموم بأنه قبول المدرك الصورة المدرك ، ويعرف الاحساس بأنه قبول الحاسة لصورة المحسوس . والقوة الحاسة مثل المحسوس بالقوة . فاذا انفصلت عنه تصبح مثله وشبيهه فالإحساس انتقال من القوة الى الفعل . واستحالة الى مشابهة المحسوس بالفعل.

وتعريف الاحساس بأنه قبول الى صورة المحسوس، او استحالة الحس الى مشابهة المحسوس فكرة ارسطية الاصل، وقد ذاع هذا التعريف فيما بعد بين الفلاسفة . وظل هذا التعريف دائماً طوال القرون الوسطى بين الفلاسفة اللاتينيين.

فاذا حللنا الاحساس الظاهر في مذهب ابن سينا امكننا ارجاعه الى اربعة عناصر، العناصر الثلاثة الأولى عناصر ضرورية يجب ان تتوافر لكي يحدث الاحساس اما العنصر الرابع فليس ضرورياً لحدوث الاحساس وانما هو عنصر انفعالي يلحق الاحساس او يصاحبه ..

1. المحسوس الخارجي: يشترط في حدوث الاحساس الظاهر وجود مؤثر خارجي يؤثر في عضو الحس.
2. انفعال الحس: ويشترط في حدوث الاحساس انفعال الحس عن المحسوس . فان لم يتفعل الحسن لم يحدث الاحساس.
3. الوسط: ويلزم وجود وسط ينتقل خلاله تأثير المحسوس في الحس ، ويقوم الهواء والماء بدور الوسط للحواس ماعدا حاسة اللمس التي تحس بالملامسة المباشرة بينها وبين الملموس، ويتردد ابن سينا في امر اللمس، فتارة يقول ان اللحم وسط له ، وتارة يقول انه ليس بوسط ولكنه آلة اللمس.
4. اللذة والالم: يصاحب الاحساس عادة شعور باللذة أو الالم فاذا تكيف الحس بكيفية علاقة غير باللذة واذا تكيف بكيفية مناخية أو منافرة شعر بالألم، فاللذة ادراك الملائم والالم ادراك المنافي .

والمحسوسات عنده نوعان وفيها هذا يحذو حذو ارسطو فيقسمها الى محسوسات مدركة بالذات، ومحسوسات مدركة بالعرض المحسوس بالذات هو المحسوس الذي يؤثر في الحس وينفعل عنه الحس، اما المحسوس بالعرض فليس في الواقع محسوساً يؤثر في الحس وينفعل عنه الحس، وانما هو معنى يدركه الحس لوجوده عرضاً في المحسوس بالذات، فالأبيض مثلا محسوس للبصر بالذات، اما كون هذا الابيض هو فلان ، فهذا محسوس بالعرض لان البصر لا ينفعل عنه من حيث هو فلان وانما من حيث هو أبيض فقط .

والمحسوسات المدركة بالذات نوعان محسوسات خاصة بكل حاسة ومحسوسات مشتركة بين الحواس جميعها . والمحسوس الخاص الذي تحسه حاسة معينة ولا تحسه غيرها مثل اللون للبصر. والصوت للسمع ، والمحسوسات المشتركة تحسها الحواس جميعها وهي الشكل والعدد والمقدار والحركة والسكون.

ويقابل تقسيم ابن سينا للمحسوسات الى خاصة ومشتركة التقسيم الذي وضعه(جون لوك) للكيفيات المحسوسة الى كيفيات اولية وكيفيات ثانوية . الكيفيات الأولية هي الكيفيات المتحققة في المادة وهي الشكل والعدد والمقدار والحركة والسكون والمقاومة وهي تقابل المحسوسات المشتركة عند ابن سينا . اما الكيفيات الثانوية فهي لا توجد في الواقع متحققة في المادة، وانما هي مظاهر من ابتكار حواسنا ندرك بواسطتها الاجسام الطبيعية مثل اللون والصوت والرائحة والطعم ... الخ . وهي تقابل المحسوسات الخاصة عند ابن سينا . ويميز ابن سينا بين المحسوسات الخاصة بكل حاسة بين محسوسات بسيطة أولية ومحسوسات مركبة من المحسوسات البسيطة الأولية والمحسوسات البسيطة للمس اربعة ازواج هي: الحرارة والبرودة ... والرطوبة واليبوسة، والخشونة والملوسة، والصلابة والليونة . اما الحواس الاربع الباقية فكل منها زوج واحد من المحسوسات البسيطة . فللشم الرائحة الطيبة والرائحة العفنة والذوق الحلو والمر وللسمع الصوت الثقيل والصوت الحاد وللبصر الابيض والاسود اما بقية المحسوسات الأخرى فهي مركبة من هذه المحسوسات البسيطة كالأغبر من الابيض والاسود والفاتر من الحار والبارد.

الاحساس الباطن:

لا تستطيع الحواس الخمس الظاهرة التمييز من محسوساتها الظاهرة وبين محسوسات الحواس الأخرى. ومن الضروري لكي تتم المعرفة ويحصل الغرض منها اكتساب الكمال ، أن تجتمع المحسوسات المختلفة عند قوة واحدة تستطيع التمييز بينها . وليس ذلك في نظر ابن سينا ضروريا فقط لاكتساب المعرفة ، ولكنه ضروري ايضاً لاستمرار الحياة ، ويسمى ابن سينا القوة الحسية التي تميز المحسوسات بالحس المشترك . وهو مركز الحواس وعنده تجتمع جميع المحسوسات.

ومن الضروري أيضاً لكمال الحياة والمعرفة ادراك صور المحسوسات في غياب المحسوسات ذاتها وبتعاون الحس المشترك والمصورة يستطيع الانسان الجمع بين الادراك الحاضر والادراك الماضي وهذا أمر ضروري في الحياة العملية وفي اكتساب المعرفة على السواء . ووظيفة المصورة مجرد حفظ صور المحسوسات دون أن يكون لها اي فعل فيها . ولكننا نستعيد هذه الصور في مناسبات مختلفة ، وتجمع بعض الى بعض، وتفصل بعضها عن بعض، فتكون صوراً خيالية غير موجودة في الخارج كما يحدث في احلام النوم وخيالات اليقظة. ويقول ابن سينا بوجود قوة حسية خاصة تقوم بهذه المهمة وتسمى متفكرة أو مفكرة .

ويرى ابن سينا أن تجاويف المخ هي مركز الحواس الباطنة ، فمركز الحس المشترك في اول التجويفين الاماميين للمخ ومركز المصورة في آخر التجويفين الاماميين . ومركز التخيل في أول التجويف الاوسط. ومركز الوهم في آخر التجويف . الأوسط، ومركز الذاكرة الحافظة في التجويف الاخير .

يتفق ابن سينا مع ارسطو الى حد ما في الاعتراف بأهمية الادراك الحسي في اكتساب المعرفة ولكنه لا يذهب في ذلك الى الحد الذي يذهب اليه ارسطو فيعد الاحساس اساس المعرفة، وبدونه لا تكون معرفة ولا تفكير. ولكنه يلتقي باعتبار الإدراك الحسي مرحلة أولية ضرورية تهيء النفس للإدراك العقلي الذي هو في الحقيقة غير مكتسب من الحواس. وهو كذلك يتفق مع افلاطون في القول بوجود المعقولات وجوداً مستقلاً خارج العقل الانساني بحيث تصبح المعرفة العقلية الى حد ما شيئاً لا يستمد من الحواس وانما يكتسب من عالم المعقولات على سبيل الفيض والالهام. والرأي الأول يذهب الى ان التفكير يحدث باستخدام صور خيالية . ويذهب الرأي الثاني الى ان التفكير هو تأمل المعاني العقلية البحتة بدون مشاركة التخيل المختلط بالصور الحسية . كيف استطاع ابن سينا التوفيق بين هذين المذهبين المتقابلين : المذهب الحسي الارسطي . والمذهب العقلي الافلاطوني ؟

برى ابن سينا أن العقل يستعين بالتخيل في انتزاع الكليات من الجزئيات المدركة بالحس، وذلك بأن يستعرض العقل بوساطة التخيل والوهم هذه الجزئيات المحفوظة في المصورة والحافظة ، فيستنبط منها المعاني الكلية ويستمد منها مبادئ التفكير الى هذا الحد يمكن القول بأن العقل يستعين بالصور الخيالية في التفكير . ولكن ليس هذا الا مرحلة أولية من مراحل التفكير هي مرحلة تهيؤ واستعداد فقط . اما عمل العقل الخاص وهو تعقل المعقولات الكلية المجردة فهي مرحلة اخرى تأتي بعد ذلك ولا يستعين العقل فيها بالحواس ولا بالصور الخيالية ، وانما يستعين في ذلك فقط بالعقل الفعال الذي يمده بالمعقولات على سبيل الفيض والالهام....بذلك تم لابن سينا الجمع والتوفيق بين المذهبين الأرسطي والافلاطوني المتقابلين.

ان آراءه هذه انتقل تأثيرها الى العالم والباحث العربي وغير العربي . فمثلاً ما يعرف اليوم بالطب السيكوسوماتي هو من أدراك ابن سينا للعلاقة بين الإمراض الجسمية والنفسية. وما توصلت اليه دراسات النمو العقلي وعملياته ادركها ابن سينا ... وهكذا نجد في مجالات كثيرة ما لأهمية آراءه في علم النفس.

<u>الامام الغزالي:</u>

هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالي. ولد في مدينة طوس عام (٤٥٠ هـ) وتوفي عام (٥٠٥هـ) عاش في فترة زمنية كانت الحضارة العربية شهدت حركة واسعة للنشاط الفكري في مختلف المجالات، فهي فترة كانت غنية في معطياتها الثقافية فمثل ذلك المصدر الكثير من آراء الغزالي، واطلع على فلسفة اليونان والرومان بشكل واسع وهذا هو المصدر الثاني للأفكار، المصدر الآخر هو حياته الخاصة بكل عناصرها العلمية والاجتماعية . يناقش الغزالي اهمية الاشياء في عالم الظاهر بالنسبة الى الغاية الانسانية والعلاقة الصميمية بين الانسان وبينها، ويعالج ما أن نطلق عليه اليوم اسم (أصول المجتمع الانساني وتطوره) ولكن لم تكن غاية الغزالي الأولى وضع نظرية من أصول المجتمع وتطوره . كان هدفه الرئيس ان يبني عن طريق البحث في نشوء المجتمع الانساني وتطوره ، فانه وان كانت الغاية الاساسية من وجود المجتمع هو تفهم بعض الحاجات الضرورية التي لا يستطيع. الانسان العيش بدونها الا ان هذا المجتمع يتطور تطوراً معقداً بحيث تشغل الاهداف والامور التي تنشأ اثناء عملية تطوره الناس اشغالاً كلياً حتى انها

تصرف طالب الحقيقة وتشغله عن سعيه وراء معرفة الله . وأول ما يسرد وجود المجتمع عند الغزالي هو ضمان بقاء الفرد وسلامته . اذ أن بقاءه وسلامته شرطان لسعادته وحاجات البدن الضرورية هي المأكل والمشرب والملبس ويتوقف بقاء الانسان على سد هذه الحاجات، وهو عاجز عن توفيرها وحده. ولذا يتحتم التعاون بين الناس بتوزيع الاعمال الضرورية لتوفيرها للإنسان . فنشوء المجتمع الانساني هو نتيجة حتمية يعجز الفرد عن توفير العيش لنفسه وحده. ولا ريب في أن الضرورة لوجود هذا المجتمع، تدل على حكمة الله في خلقه هذه الحاجات للإنسان من ناحية، وفي جعله الانسان عاجزاً وحده عن سدها من الناحية الاخرى . وكذلك فقد خلق الله في كل انسان رغبة في التجمع .

وتنشأ مع ظهور المجتمع مشاكل جديدة في العلاقات والتعاون الانساني فكل مرحلة من هذه المراحل تولد مزيداً من المشاكل والحاجات ، وهذه تتطلب المزيد من التنمية والتطوير .

ونمو التعقيد امر حتمي في نمو المجتمع الانساني، وان الفنون والمهن والمؤسسات التي تظهر إلى حيز الوجود ثمرة المتطلبات التي تخلقها مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع تؤدي بدورها الى خلق حاجات جديدة تفرض المزيد من التنمية، ويتبين من هذا أن المجتمع الانساني لابد ان يستمر في التعقيد الى ما شاء الله.

اما الأمر الثاني فتتعلق بوجهة نظر الفرد الذي يطمح الى تحقيق السعادة فان المشكلة الكبرى هنا هي ان الاهداف والاشياء الموجودة في المجتمع المعقد ليست كلها ذات اهمية بينه وبين سعيه وراء السعادة وعليه ان يختار ما هو ضروري لغايته .

يولد الفرد في مجتمع معقد تتنوع فيه الاهداف وتتكاثر الأمور المستحبة ويتعشق قلبه هذه الاشياء لان يستمد منها لذات كبيرة وهو يرى أن النجاح في تحقيق ما يتعارف عليه المجتمع من اهداف يحمل معه المكانة والجاه والوقار، ويتيح له السيادة على الاشياء الأخرى وعلى غيره من الناس.

ويعني المجتمع المعين أو المرحلة المعينة في تطوره بالنسبة إلى النمو الذاتي للفرد وجود عدد من الاشياء والاهداف التي تستهوى الشهوات والصفات الاخرى في الانسان ، وقد تختلف معظم الاشياء والاهداف أو بينها باختلاف المجتمعات، أو باختلاف مراحل التطور في المجتمع الواحد. لكن الاسس القائمة في الطبيعة الانسانية والتي تدفع الناس الى البحث عن الاشياء والاهداف المحددة التي يعرضها مجتمعهم واحدة في كل زمان ومكان فليس المهم ما يختار الانسان تحقيقه من هذه الاشياء والاهداف ، وعلى الانسان مهما كان المجتمع الذي يمت اليه او العصر الذي يعيش فيه، أن يتبين بنفسه ما في نفسه من الامور التي تدفعه وراء أهداف معينة .

ولتحذير المبتديء من طلب المعرفة من خطر انشغاله بالمطامع والاهداف التي ينصرف اليها معظم الناس لما فيها من جزاء في مجالات الملذات والشهرة رأى

الغزالي ان عليه ان يبين الاسباب التي ادت الى وجود هذه المطامح والاهداف في المجتمع ، وان يبين ايضاً ما في طبيعتها من قيود في طلب المعرفة . ولا يحتاج طلب المعرفة من مجتمعه الا الى ما يضمن سلامة بدنه وبقاءه ، ووجود المجتمع ضروري لذلك . ولكن تتولد في المجتمع اثناء عملية تطوره ونموه اشياء كثيرة وحرف وصناعات ومؤسسات وغيرها لا تكون غير ضرورية في حياة طلب المعرفة فحسب، بل وقد تكون مغرية جداً في المراحل الأولى من حياة من لا يطلب المعرفة ايضاً.

ويؤكد الغزالي ان بقاء المجتمع الانساني غاية الهية وفي هذا يقول : « ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ، ولو عقل الناس وارتفعت هممهم ، لزهدوا في الدنيا . ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ، ولو بطلت لهلكوا ، وهلك الزهاد ايضا.

ويقسم الغزالي الاشياء بالنسبة لسعادة الانسان إلى نافعة وضارة طبقاً للأثر الذي تتركه هذه الاشياء على نمو الشخصية نحو الكمال وتحقيق الذات. ويدرس ماضي الأشياء والأمور من نفع وضرر من سنة زوايا مختلفة وهذه بشيء من الايجاز:

اولاً: أن الأمور كلها بالإضافة الينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة معا . كالعلم وحسن الخلق ، والى هو ضار فيهما معا ، كالجهل وسوء الخلق ، والى ما ينفع في الحال ويضر في المال كاللذة المرتبطة بالشهوات ، والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال ، كقمع الشهوات ومخالفة النفس .

ثانياً: اما بالنسبة إلى الأمور الخاصة بهذه الدنيا (ماعدا العلم وحسن الخلق) فهي مختلطة ، امتزج خيرها بشرها ، فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ، ولكن بعضه يكون نفعه أكثر من ضره وبعضها الآخر ضره أكثر من نفعه كالمال . الوفير والجاه الواسع ، لكن ما في كل من الأمور من نفع وضرر يختلف باختلاف ما يتركه من اثر الانسان المعني نفسه .

ثالثا: ان الأمور ينظر اليها من زاوية الغايات والوسائل. فمنها اولا ما هو غاية في نفسه . كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة ثانياً، منها ما يقصد لغيره وليس له قيمة ذاتية ، كالمال ، واما الثالث فما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة وهذه بالإضافة الى كونها نافعة في حد ذاتها . تمكن الانسان من متابعة غاياته الدنيوية والروحية، واذن ما يطلب لذاته فقط هو الحسن الحقيقي . اما ما يطلب لذاته ولغيره ايضا فهو حسن ، ولكنه دون الاول . فأما مالا يطلب لذاته بل لغيره فلا يكون حسناً في حد ذاته بل مجرد وسيلة ضرورية .

رابعاً: يمكن النظر إلى الخيرات باعتبار ان منها ما هو نافع ومنها ما هو لذيذ ومنها ما هو جميل ولذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال ، أما النافع فهو الذي يفيد في المال ، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال وكذلك الشروط ايضاً تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم. فالخير المطلق هو الذي تجتمع فيه صفات الخير الثلاث، أي النفع والجمال واللذة . والعلم والحكمة من هذا النوع

وتكون الشروط مطلقة ايضاً عندما تجتمع الصفات الثلاث للشر وهي الضر والقبح والالم. والجهل من هذا النوع . وتستمد أكثر الأمور اهميتها ونفعها من الغايات التي تحققها فالأيمان والعلم والفضائل وحسن الخلق والعمل الطيب كلها امور طيبة ونافعة ، اذ انها تخدم اسمى غايات الانسان وهي الوصول الى السعادة.

خامساً: تكون في التعبير بالنعمة عن كل لذيذ، واللذات من احبة الانسان من ناحية اختصاصه بها أو مشاركته لغيره او بدنية والاخيرة يشترك فيها الانسان مع بعض الحيوانات أو معها كلها ، وعلى هذا الاساس يمكن تصنيف اللذات بالتسلسل حسب عدد اجناس الحيوانات التي تشترك فيها ، وكلما ازداد عدد البهائم التي تشترك في لذة معينة كانت هذه اللذة من الصنف الأدنى في تسلسل الخير والشر. ويكون تسلسل الخير في اللذات على شكل هرمي ، وتكون قاعدته تلك الشهوات التي تشترك فيها سائر البهائم ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى ما يخص الانسان منها إلى ان تصل الى الذروة التي تخص اعمق الجوانب الروحية في الانسان، فالعلم والحكمة من لذة الروح، هما ارفع اللذات في تسلسل الخيرات.

سادساً: أن هذه القسمة حاوية لمجامع النعم في غاية واحدة، وهي غاية الانسان النهائية لأنها تمثل سعادة الآخرة، وتكون سائر الأمور الأخرى مجرد وسائل لتحقيق هذه الغاية وبعض هذه الوسائل اقرب واخص كفضائل.

آراء الغزالي في التربية:

للغزالي آراء كثيرة في التربية والتعليم ، هذه الآراء التي تبين واجبات الوالدين اتجاه طفليهما. وواجبات المعلم والمتعلم . وهذه الآراء لا تختلف في شيء عن كثير من الآراء التربوية الحديثة، ففلسفة التربية عنده أن يحدد هدف النظام التربوي ورسم الوسائل والطرق التي تساعد على الوصول إلى هذا الهدف وهناك وسيلتان اساسيتان للوصول الى هدف اي نظام تربوي هما ، نواحي المعرفة التي يجب تزويد المتعلم بها أو بمعنى آخر المنهج العلمي الذي يدرسه المتعلم ثم الطريقة التي ينبغي أن تقدم بها تلك العلوم او مواد المنهج للمتعلم حتى تكفل المامه الصحيح بذلك المنهج والافادة منه.

ويبين الغزالي آراءه التربوية في فطرة الطفل على نظرته الى النفس الانسانية وعلى فهمه لطبيعة الطفل وغرائزه ويرى التبكير في تعويد الطفل الخصال الحميدة لان نفسه ساذجة خلوة من اي نقش وفي هذا يقول - والصبي أمانة عند والديه . وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل الى كل ما يحال اليه .. وهو في هذا يوافق اصحاب المذهب التجريبي من الفلاسفة ولاسيما اصحاب المدرسة التجريبية الانكليزية مثل لوك وهيوم وامثالهما الذين كانوا يرون أن النفس تولد صفحة بيضاء خلوة من اي نقش وان ليس في الفكر مالم يكن من قبل في الحس .

والطفل في نظر الغزالي تبعاً لهذا يتقبل الخير والشر على حد سواء وفي هذا يقول كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه.

وسنستعرض الآراء التي تركها لنا الامام الغزالي في أصول تربية الطفل فهي كالآتي:

1. ان تؤدب اخلاق الطفل.
2. ان يحفظ من اقران السوء.
3. الا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة.
4. الا يعود على التنعم ولا يحبب اليه اسباب الرفاهية.
5. ان يمنع من النوم نهاراً فأنه يورث الطفل.
6. أن يعلم الولد آداب الأكل .
7. ان يكرم الولد ويحمد على ما جاء من الجميل ويتغافل عما جاء به من القبيح.
8. ان يشغل في الكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار.
9. ان يعود الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم.

١٠.يمنع من أن يفتخر على اقرانه بشيء يملكه والده.

١١.وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلا فيستريح ما به من تعب القراءة والكتب.

١٢.اكد على اهمية الصفات الحميدة اذ ان لكل آثار سلبية او ايجابية تبدو في سلوك الطفل في المستقبل.

ن التعليم في نظر الغزالي هو اشرف الصناعات والغرض من التربية هو الفضيلة، والتقرب من الله النصائح الغزالي للمعلم هي :

1. ان يقتدى بصاحب الشرع محمد (ص) لا يطلب على افادة العلم اجراً يعل يقصد جزءاً ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى .
2. الشفقة على المتعلمين وان يعاملهم معاملة ابناءه.
3. ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي الله مالا يبلغه عقله.
4. ان يكون المعلم عاملا بعمله فلا يكذب قوله فعله .
5. نصح بضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين فبين ان هناك فروقاً بين الافراد من حيث قدراتهم واستعداداتهم ورغباتهم وميولهم .
6. اكد على تعليم الطفل قراءة القرآن الكريم واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم حيث يبعد عن العبث والمجون .
7. وبالنسبة للعقاب فقد اوضح الغزالي ذلك بقوله ان يزجر المتسلم في سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرخ ولا يربح وقد لاحظ تأثير العقاب في نفس المتعلم لان الطالب اذا شعر بالضغط والتوبيخ والمس في كرامته . احس يبغض وحقد لذلك الدرس والمعلمة وبذلك تفقد الغاية المتوخاة وهي حالة التشويق التي يجب ان توفر للطالب كي يقبل على الدرس وبرغبة اكيدة وشوق كبير.
8. وطالب المعلم ان يكون قدوة حسنة للطالب.

9. ويتفق الغزالي مع ابن خلدون في تأكيده على ضرورة قيام الطلبة بالرحلات والابتعاد عن الاهل والوطن في سبيل تحصيل العلوم وطلب العلم، أكد على مبدأ التدرج في التعليم.

كما اكد على أن الطالب يجب الا يتكبر على معلمه بل يحترمه ويدعن لنصيحته . هذه النصائح الجليلة التي تركها لنا الغزالي وهي مستمدة من التجارب الطويلة والخبرات الكثيرة فهي اذن من صميم الواقع . وما هي الا مبادئ تفصيلية لوجهة نظرته الصوفية ولطبيعة الكائن الانساني ولنظرته للحياة الانسانية عموماً . أن الامام الغزالي لم يكن مفكراً تربوياً محضاً بل كان مفكر ديني وبعبارة أخرى كان مفكر فلسفي ومعالجته المسائل التربية كانت مكملة لتلك الآراء الفكرية الفلسفية ذات الطابع الديني.

ابن خلدون (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ):

هو أبو زيد عبدالرحمن بن خلدون التونسي ، ولد بمدينة تونس عام (١٣٢ هـ) وتلقى علومه فيها حيث كانت تونس آنذاك مركزاً تستقطب العلماء والادباء اليها من بقاع شتى، وقد تنقل ابن خلدون في اقطار شتى عندما كان شاباً وتناول اعلى مراتب الحكم والسلطان ، واستقر اخيراً في القاهرة وجلس للتدريس في جامع الأزهر الذي وجد فيه مجالاً واسعاً وميداناً خصباً لنشر علومه ومعارفه فألتف حوله الطلبة في حماس شديد.

ويعد ابن خلدون من الكتاب العرب القلائل الذين كتبوا في التربية والتعليم . كما يعد بحق مؤسساً لعلم الاجتماع ومن المؤرخين البارعين . اشتهر بكتابة المعروف "مقدمة ابن خلدون"، تلك المقدمة التي ترجمت إلى أكثر لغات العالم وكتبت عنها مؤلفات عدة (١٠ - ص ٣٦ - ٧) وسنتناول آراءه سواء في المجتمع أم في التربية.

وقد اتفق ابن خلدون مع ارسطو ان هناك ميل فطري إلى التجمع ثم يقرر أن الانسان ميال الى العدوان والظلم بفطرته، ومن هنا جاءت ضرورة المجتمع حاكم على رأسه . فهو يقول .

ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررنا وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم ويكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احداً الى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى "الملك".

ثم يتحدث عن الظروف التي يعيش فيها المجتمع ، بعضها بيئية طبيعية وبعضها اجتماعية وكيف انها تؤثر في طراز الشخصية السائدة في هذا المجتمع وتتلخص هذه الظروف والعوامل في اربعة:

1. المناخ الجغرافي.
2. مستوى الخصب أو القفر في القطر.
3. طراز الحكم السائد.
4. مستوى التطور الاجتماعي الذي بلغه المجتمع .

فيما يتعلق بالمناخ الجغرافي يقول :

ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالمقياس إلى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حراً فتكون أكثر تفشياً واسرع فرحاً وسروراً واكثر انبساطاً ويجيء الطيش على اثره ، وكذلك يلحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر واشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة.

ينتقل ابن خلدون إلى الحديث في (الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم) فيقول:

وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنفسين في العيش، فألوانهم أصفى وابنائهم اتقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم اثقب في المعارف والادراكات ، هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم.

ثم يتحدث عن العامل الثالث وهو طراز الحكم السائد فيقول:

وأما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاخافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة.

واما عن العامل الرابع والاخير وهو مستوى التطور الاجتماعي في المجتمع فهو يعقد فصلاً بعنوان : " في اطوار الدولة واختلاف احوال وخلق اهلها باختلاف الاطوار" يقول فيه:

اعلم ان الدولة تنتقل في اطوار مختلفة وحالات متحددة ويكتسبه القائمون بها في كل طور خلفاً من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر، لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدول واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار.

هذه عينة من آراء ابن خلدون في موضوع العوامل الرئيسة التي تحدد طراز الشخصية السائدة في المجتمع .

وله آراء اخرى هي في الواقع بذور نظرية تقع على الحدود بين علم النفس الاجتماعي وبين التوجيه المهني هذه الآراء تدور حول الصلة بين سمات الشخصية وبين احتمالات النجاح أو الفشل في مهن معينة . كما تدور حول ما يمكن ان يترتب على ممارسة الشخص لمهن معينة من آثار في سمات شخصيته . وحديثه في حرفة التجارة يوضح آراءه هذه فهو يرى أن من أهم سمات الشخصية التي تضمن لصاحبها النجاح في مهنة التجارة ان يكون (جريئا) على الخصومة، بصيراً بالحسبان، شديد المماحكة.

ولآبن خلدون آراء عديدة في التربية وسنعرض بعضاً منها:

1. يرى أن العلم والتعليم أمر طبيعي في العمران البشري لان الانسان انما يتميز على الحيوان بالفكر الذي يهتدي به ليحصل معاشه وان العناية بالتعلم والتعليم تدل على درجة كبيرة من الرقي والتطور فكلما تقدم المجتمع في طريق الحضارة تقدمت منه العلوم وارتقت طرائق التعليم وأساليبه.
2. الا تقدم المسائل الصعبة المبتدئين بالتعليم . وان يكون تعليم العلوم متدرجا من السهل إلى الصعب. ومن البسيط الى المعقد ومن المحسوس الى المجرد وان يستعان بالأمثلة الحسية أو الوسائل المعينة لاسيما في المراحل الأولى من التعلم.
3. ينبغي ان يراعي في العملية التعليمية قوة عقل المتعلم واستعداده للتعلم وميوله الفطرية وان ينتبه إلى ما بين المتعلمين من فروق ومراعاة ذلك اثناء عملية التدريس.
4. ألا تطول الفقرات بين الدروس ، لان طول الفترة بين درس وآخر مدعاة لان ينسى المتعلم ما درسه . وان مواصلة الدروس تربط بينها وبين بعضها وتساعد على ان تتم عملية التعلم في وقت اقصر وبطريقة اصح ، وبذلك يحدث اقتصاد في الوقت والجهد وتأتي بنتائج افضل .
5. أن يعطى تعليم اللغة العربية اهتمام كبير وعناية فائقة ولن تكون دراستها اساس لكل علم وان يبدأ بتدريسها اولا وقبل كل علم وذلك بغية تمكين الطفل من اجادة التعبير عما يدور في ذهنه من افكار وتصورات ، وعلى اتقان عملية الكتابة وفهم ما يكتبه وما يقرأه.
6. دعا إلى التقليل من العقاب. وتجنب النوع القاسي منه لان الشدة على المتعلمين مضرة بهم، ومن واجب المعلم ان يأخذ الاطفال بالقرب والملاينة لا بالشدة والغلظة الا يلجأ الى العقوبة الا عند الضرورة القصوى وذلك لان الشدة لا تبلغ الغاية من ايقاف المتعلم على المعلم بل تفسد اخلاقه لأنها تعلمه الكذب وتدعوه إلى المكر.
7. أكد على اهمية الرحلات في طلب العلم وفائدتها اذ اعتبرها تزيد الكمال في التعليم .
8. عد ابن خلدون القرآن الكريم اصل التعليم.

وفي ضوء ما تقدم يمكن ان نستنتج ان ابن خلدون ينظر إلى التعليم من زاوية اجتماعية ويقرر انه ظاهرة اجتماعية ولا شك ان كثير من المفكرين انتهوا آخر الامر إلى أن التربية ضرورة اجتماعية، وبهذا المنطق حدد ابن خلدون اساليب التعامل في مجال تنشئه الافراد فاستوفى الاهداف التربوية من مضامين الحياة الاجتماعية فما هو مطلوب من الاهداف التربوية في مجتمع ما تكون محددة بنمط حياة ذلك المجتمع.

الفصل الثالث

مناهج البحث

تطور مناهج البحث

المنهج التجريبي

لمنهج الوصفي

المنهج التاريخي

المنهج السيومتري

المنهج العلاجي

اساليب اخرى في دراسة السلوك الاجتماعي

مناهج البحث

تطور مناهج البحث في دراسة الجماعة

ان دراسة الجماعة أو السلوك الاجتماعي لا بد أن تكون وفق منهج علمي للبحث. ومعنى هذا أن تتضمن طريقة منظمة لتسجيل الملاحظات وان تخضع الضوابط تضمن لها الثبات والصدق .

لقد مرت مناهج دراسة الجماعة بمراحل فنجد أولا مرحلة الدراسة السيكولوجية للشعوب هذه التي تتمثل على خير وجه في الدراسات التي شاعت في نهاية القرن التاسع عشر، والتي تشبه الى حد كبير، بل وما تضمنته كتابات هيرودوت و اعمال فوبيل (Fouillee) في سيكولوجية الشعوب ، وليس من شك في ان هذه الدراسات لا ترقى الى مستوى الدراسة الحقلية (Field Work)

وتجد بعد ذلك مرحلة الدراسات السيكولوجية للأجناس او ما يسمى بالدراسات الانثروبولوجية الثقافية وقد انتشرت هذه الدارسات في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أما المرحلة الحالية ، فترجع الى تقدم علم النفس واثره) سواء من ناحية التكتيكات أو من ناحية النظريات.

ان الدراسات التي كانت تقتصر في بدايتها على دراسة الشعوب البدائية أي دراسات (الانثروبولوجيا الثقافية) كانت تعتمد على المنهج التقليدي والتي بلغت ذروتها عند مالينوفسكي (Malinowsky) حيث يبدأ بدراسة اطار القبيلة وبيئتها ثم يسجل المظاهر الدقيقة للحياة الواقعية، وكذلك يحدد نمط السلوك الاجتماعي الشائع، ويجمع الوثائق المتصلة بالعقائد والتقاليد. ويهدف مالينوفسكي من دراسته الى الامساك بوجهة نظر الفرد تجاه عالمه وبالتالي فمنهجه يستند إلى علم النفس الفهمي اي الى فهم الظاهرة الحياتية عن طريق التأويل وليس عن طريق التفسير بالقوانين. ولكن منهج (مالينوفسكي (يعد مع ذلك منهجاً كلاسيكيا اذ لا يستخدم الوسائط والادوات ما يمكن من أن ينفذ إلى أعماق الظاهرة.

ثم تطورت المناهج الى دراسة السلوك الفردي بعد ان انكمشت الابحاث الحقلية . فبدأ استخدام الاحلام واختبار (الرورشاخ) اي بقع الحبر، مما نلاحظه في دراسة ظاهرة التثقيف (Culturation) اي عملية احلال ثقافة حديثة محل ثقافة قائمة، هذا الى ما نجده من تركيز بعض الدراسات على جانب بعينه من جوانب السلوك وما يتبع ذلك من دراسة الشخصيات النمطية ممثلة للمجتمع موضوع الدرس أو الشخصية ما من شخصياته في ظروف استثنائية :

لقد ساعدت ظروف النظريات منذ بداية القرن العشرين في تصحيح الكثير من النظرات التي كانت تجاه الجماعة والظواهر الاجتماعية وانهاء التعارض التقليدي ما بين الفرد والمجتمع وقد كان لهذه النظريات - اعظم الأثر في تطور دراسات المجتمعات . فمثلاً نظرية (الجشتالت) بتصورها الدينامي ومفاهيمها عن الوحدة الكلية وعن التفاعل بين الادوار وعن الاتزان والتكامل صححت الكثير من النظريات والى جانب ذلك فقد ساهمت كل من نظرية التحليل النفسية والنظرية السلوكية في تطور الدراسات التي تخص الفرد والمجتمع.

وفيما يأتي تعرض مناهج البحث في دراسة الجماعة:

1) المنهج التجريبي:

يتبع علماء النفس الاجتماعي خلال تجاربهم الاجراءات الثابتة، فيلاحظ الباحث ما يعتقد انها ثوابت نظامية أو قانونية في مجال السلوك الذي يهتم به ويكون فرضية قد تشرح أو تصف ملاحظاته . ثم يجزي تجارب في ظروف متحكم بها بعناية لاختبار فرضيته . ثم سيتأكد الباحث من أن مجموعات التجربة والمقارنة متطابقة من ناحية المتغيرات كالذكاء مثلاً ويتأكد ايضا ان المجموعتين تستخدمان المواد نفسها وتعملان في البيئة نفسها وتحت اشراف الاشخاص انفسهم . الفرق الوحيد في الظروف بين المجموعتين هو الفرق بين معالجة المجموعة المقارنة (الضابطة) والمعالجة التجريبية (المجموعة التجريبية) ثم يتم تحليل الاختلافات بين اداء المجموعتين قبل وبعد ويتم مقارنتها احصائيا.

في مثل هذا البحث يصبح الظرف المحفز (متغير مستقل) ويستغل من قبل، الباحث وتصبح الاستجابة متغير (معتمد أو تابع) ان التغيرات في الاستجابة لمعنى آخر، تعتمد أو تسبب من قبل استغلال الباحث للمتغير المستقل، مثلا، في تجربة حول استخدام الدعاية فأن التنويع في طريقة تقديم الدعاية هو المتغير المستقل والدرجة التي يتقبل فيها الاشخاص الازاء الدعائية ستكون المتغير التابع . اذن فالاختلاف في طريقة تقديم الدعاية سيحدث تغيرات في اعتقادات او اتجاهات الافراد، ويمكننا لهذا الغرض ان تختار عينة من تلاميذ مدرسة ثانوية نفسها الى مجموعتين المجموعة الأولى (التجريبية): تعرض لنوع من الدعاية فيلماً سينمائياً أو برنامجاً إذاعياً أو محاضرة تبرز في وضوح جوانب المشكلة المدروسة، وتترك المجموعة الثانوية (الضابطة) دون أن تتعرض لهذه الدعاية. ثم تجمع المجموعتين معا . ويطبق عليهما استفتاء . فاذا اظهرت المجموعة التجريبية تغيرات في الرأي فان لدينا دليلاً على تأثير الدعاية وهذا ما يسمى (بالمتغير التابع). ومثال آخر للدراسات التجريبية التي قام بها (هاوثورن) لكشف العلاقات بين ظروف العمل وملابساته = وبين التعب والملل عند العمال. وبدأ العمل بمحاولة تحديد العلاقة بين شدة الضوء في المصنع والانتاج فاختيرت لهذا الغرض مجموعتان من العمال وظلت الاضاءة على ما هي عليه في المجموعة الضابطة. وزيدت شدتها في المجموعة التجريبية . غير انه اتضح أن الانتاج قد زاد في المجموعتين الضابطة والتجريبية، ثم انقصت شدة الاضاءة في المجموعة التجريبية. فزاد انتاجها عما كان عليه. ولقد اتضح للقائمين على التجربة ان هناك عاملاً هاماً يؤثر في الانتاج بغض النظر عن شدة الاضاءة، وقد فتحت هذه الدراسة مجالاً جديداً للبحث في اتجاهات العمال وثم ادت الى دراسة القيادة والاشراف وكشف الدراسة عن أهمية التنظيم الاجتماعي في

الانتاج وظهرت اهمية مشكلات الاتصال . فقد وجد مثلاً في تجربة اخرى ان الانتاج قد زاد نتيجة تغير في اتجاهات العاملات ازاء عملهن ونحو جماعة العمل . فكان يجلس مع العاملات في هذه التجربة ملاحظ يهتم بما يجري في التجربة ويطلب منهن النصيحة ويستمع إلى شكاياتهن. وترتب على ذلك أن العاملات شعرن بأهمتيهن، وانهم كجماعة يحاولن مساعدة الشركة على حل مشكلة وأنهن يعرفن الهدف الذي يعملن على تحقيقه. وتوضح هذه التجربة ان الجماعة الأولية وليس الفرد يجب أن تكون وحدة الملاحظة في التجارب العلمية. وأن توفر الدوافع المناسبة اهم في الجماعة من الظروف البيئية الفيزيقية التي تحيط بها . فجماعة العمل ليست وظيفتها الانتاج فحسب، بل لها وظيفة اجتماعية نفسية وهي اشباع حاجات اعضائها.

ان المنهج التجريبي في الدراسات النفسية يتطلب ان العرف المشكلة وتحددها . وان نصلها بمبادئ واسس معروفة ، وتتناول مظاهر معينة من الظروف بينما تضبط اخرى وتبقيها ثابتة. ونفترض الفروض . ونجمع البيانات وتحللها . ونحقق الفروض، وتتطلب الطريقة التجريبية ان نجري تجارب بطرق تسمح لنا بالتكرار والضبط . وتتطلب فهم المتغيرات المتضمنة، ويحاول الباحث ان يكتشف المتغيرات العامة للمشكلة التي يدرسها ، ويجب عليه ان يختار المتغيرات التي يريد ان يضبطها وقد يوفق ويتوصل الى نتائج هامة . وقد يخطئ ولا يصل الى أي نتائج ويرجع السبب إلى الخطأ في تصميم التجربة ويصعب احيانا تحديد المتغير المستقل والمتغير التابع وقد يكون لدينا اكثر من متغير تابع . وتزداد المشكلة تعقيداً حين توجد عوامل بسيطة. فمن الممكن ان تكون التجربة ناجحة اذا خطط لها مسبقاً تخطيطاً سليماً.

ولنضرب مثلاً لتجربة اخرى قام بها العالم (ليفين ولبيت وهوايت) لتبين اثر الاجواء الاجتماعية المختلفة على السلوك العدواني للأفراد، فقد كونت ثلاثة مجموعات من الاطفال وعهد بها الى ثلاث اشخاص يتصف احدهم بالدكتاتورية . والثاني بالديمقراطية. والثالث بالفوضوية وكانت كل مجموعة تتكون من خمسة اولاد في سن العاشرة وكانوا يتفقون بقدر الإمكان في الصفات العقلية والجسمية والمركز الاجتماعي والاقتصادي والمميزات الشخصية، وكان ذلك الشخص في التجربة هو المتغير بينما تمثل الجماعات العوامل الثابتة حتى يمكن بالتالي المقارنة بينها . وتكشف التجربة عن نزعة عدائية معتدلة في الجماعة الديمقراطية في حين تعظم في الجماعة الفوضوية، وتتضاءل أو تعظم في الجماعة الديكتاتورية.

2) المنهج الوصفي:

يهدف هذا المنهج الى جمع اوصاف دقيقة علمية للظاهرة الاجتماعية في وضعها الراهن او او الى دراسة العلاقات التي توجد بين الظواهر الاجتماعية، ومن اهم طرق هذا المنهج هي الملاحظة العلمية (Observation) وتعد هذه الطريقة المنظمة مورداً خصبا للحصول على المعلومات والبيانات التي تتصل بالسلوك الاجتماعي

ان الباحث في هذا المنهج يهتم بدراسة الوضع الحالي للظاهرة، ومن الضروري ان تتوافر للباحث اوصاف دقيقة عن الظاهرة قبل أن يتوصل إلى حل المشكلة فيقوم الباحث بملاحظة الافراد والجماعات في المواقف الاجتماعية وبصورة مباشرة ومن ثم تدوينها، ويتطلب ذلك اتباع وسائل

دقيقة لتسجيل البيانات ومن امثلتها الاجهزة الصوتية ووسائل التصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي المرئي (الفيد يوتيب) وكذلك الغرف الخاصة المزودة بحجاب الرؤية من جانب واحد

ومن المفيد أن يتفاعل الباحث مع الجماعة المدروسة كان يعمل معهم أو يسكن معهم وذلك لكسب ثقتهم به مما يسهل الأمر عليه

ويفضل ان يكون هناك أكثر من باحث الدراسة الظاهرة وذلك للاهتمام بجميع جوانب الظاهرة ويشمل هذا المنهج على:

1. الدراسات المسحية.
2. دراسات العلاقات المتبادلة.
3. الدراسات التطورية.

1.الدراسات المسحية:

وهي محاولات لجمع اوصاف مفصلة عن الظاهرة بقصد استخدام البيانات لتأييد الظروف أو الممارسات الراهنة. أو لعمل تخطيطات اكثر ذكاء بغية الوصول الى تحسين الظروف والعمليات الاجتماعية مثلاً) ويكون الهدف من ذلك كشف الوضع القائم وتحديد كفاءته عن طريق مقارنته بمستويات او معايير أو محاكات ثم اختيارها او اعدادها وقد تكون هذه الدراسات على نطاق ضيق او واسع فقد تشمل دراسة جماعة صغيرة أو طبقة صغيرة أو طبقة اجتماعية أو مجتمع، وعلى الباحث ان يختار عينة البحث بطرق احصائية ممثلة للمجتمع الاصلي . ويستخدم الباحث الادوات كالاستبيانات أو المقابلات لهدف التوصل الى آراء الافراد في موضوع ما.

٢.دراسات العلاقات المتبادلة: وهناك ثلاثة انماط وهي

أ- دراسة الحالة:

وتمثل نوعاً متعمقاً من البحث عن العوامل التي تسهم في فردية وحدة اجتماعية شخصاً كان او اسرة أو جماعة أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمعاً محلياً . فمن خلال خدام عدد من أدوات البحث تجمع بيانات عن الوضع القائم للوحدة، والخبرات ماضية والعلاقات مع البيئة وبعد النظر في العوامل والقوى التي تحدد سلوكها بعمق ومن ثم تحليل النتائج يستطيع الباحث ان يكون صورة شاملة متكاملة للوحدة كما تعمل في المجتمع، وما دام الفرد يعيش في نطاق اجتماعي فان دراسة الحالة يجب ان تتضمن معلومات عن الجماعة والتفاعل الاجتماعي والادوار والمعايير الاجتماعية...الخ.

ب- الدراسات المقارنة:

وهي تدرس اسباب الظاهرة الاجتماعية، فالباحث هنا يبحث عن العلاقات واوجه الشبه والاختلاف بين المواقف العديدة ويصف العوامل التي تكمن وراء الظاهرة.

ت- الدراسات الارتباطية:

وتركز على استخدام الطرق الارتباطية التي تستهدف الى استكشاف حجم العلاقات بين البيانات ونوعها اي الى اي حد يرتبط متغيران. او الى اي حدد تتطابق متغيرات في عامل واحد مع متغيرات في عامل آخر . وقد ترتبط المتغيرات -مع بعضها البعض ارتباطاً تاما او ارتباطاً جزئياً موجبا او سالبا ، ذا دلالة احصائية -او يرجع الى الصدقة .... الخ وهكذا تفيد الطرق الاحصائية لحساب معاملات الارتباط ودلالتها في هذا المجال فائدة كبيرة. وتخدم هذه الدراسات عدداً من الاغراض وخاصة في دراسات التنبؤ والسبب والاثر.

٣.الدراسات التطورية:

وتتناول الوضع القائم للظاهرات والعلاقات المتداخلة مع بعضها البعض وكذلك -المتغيرات التي تحدث نتيجة المرور الزمن . فهي تصف المتغيرات في مجرى تطورها -خلال مدة زمنية معينة وترصدها وتحللها . وان اوضح الدراسات التطورية دراسات -النمو. كما في دراسة النمو الاجتماعي مثلا ويتبع في ذلك احدى الطريقتين:

الطريقة الأولى الطولية.

الطريقة الثانية المستعرضة.

ففي الطريقة الطولية يدرس نفس المجموعة من الافراد ولفترة زمنية طويلة تحمد من قبل الباحث .. وهذه الطريقة لها فوائد كبيرة في معرفة فيما اذا كانت بعض الخصائص ثابتة خلال فترات طويلة ام انها عرضة للتغير بالإضافة الى تعيين الاوقات التي يحصل فيه بعض التغيرات بصورة دقيقة .. وهذا لا يعني أن ليس لها سلبيات . فمن سلبياتها انها تحتاج الى وقت طويل قد يمتد عشر سنوات او اكثر بكثير. كما انها تحتاج الى جهود مضنية وصبر طويل من قبل الباحث حتى يحصل على النتائج . وكذلك فأنها عرضة لمتغيرات دخيلة كمرض احد الافراد او موتهم أو فقدان روح التعاون بينهم وبين الباحث.

اما الطريقة المستعرضة فتعنى دراسة الظاهرة أو مجموعة من الافراد في قطاع عرضي من الزمن في سلم النمو. وتتميز هذه الطريقة بسرعتها في الحصول على النتائج وسهولة استخدامها وتعتمد هذه الطريقة على الاختبارات الجماعية وعلى الاستبيانات وطرق القياس النفسية والادوات المختبرية الاخرى، ومن الجدير بالذكر يفضل الباحثون استخدام الطريقتين عند دراسة نمو الظاهرة.

3) المنهج التاريخي:

وهو المنهج الذي يدرس الاحوال او الاحداث التي جرت في الماضي . ويحاول الباحثون احياء خبرات المجتمع البشري الماضية فيجمعون الحقائق ويحللونها ومن ثم يقرونها، ويهدف الباحث الى التحقق من معنى الحقائق القديمة ووصفها . فهو يقيم الدراسات السابقة التي تعالج مشكلته. والادوات والاجراءات التي استخدمها السابقون والتي تعالج نفس مشكلته والنتائج التي توصل اليها قبله، ولكن طبيعة مشكلته تتطلب منه تطبيق قواعد واساليب خاصة وصياغة الفروض، وفي جمع المادة العلمية فان الباحث يلجأ إلى المصادر الاولية مثل الوثائق والمحاضر الرسمية وكذلك يلجأ الى السجلات الشخصية والمصورة والموارد المنشورة ويلجأ كذلك الى الآثار المادية المطبوعة أو المخطوطة.

وأن نقد المادة العلمية خطوة هامة من خطوات هذا المنهج . ففي النقد -الخارجي يطلب التأكد من صدق المادة العلمية، ويجب الحرص من خطر الاخطاء والحشو والاكمال. وفي النقد للداخلي يجب التأكد من معنى المادة -العلمية وصدقها وقراءة الوثائق بعين مؤلفها ومدى الثقة في المؤلف كحجة . وهل. يوجد تناقض او ثغرات او اختلاف في موارد المادة.

4) المنهج السوسيومتري:

ان الاختبار السوسيومتري هو اداة لتقدير التجاذب والتنافر داخل جماعة معينة . يشمل عادة كل اعضاء الجماعة وتتطلب من كل منهم ان يختار - على انفراد - عدد من الاشخاص الآخرين من الجماعة ، الذين يود أن يشاركهم في نشاط معين . وعددا من الاشخاص الذين لا يود ان يشاركهم في هذا النشاط . وقد ابتدع (مورينو) هذا المنهج ووضع الشروط التي يجب ان تتوافر في هذا الاختبار وهي:

1. توضيح حدود الجماعة، فيجب أن يفهم الاشخاص طبيعة الجماعة .
2. السماح للأشخاص باختيار أو نبذ عدد غير محدود من الاشخاص كما يشاؤون .
3. تحديد محك الاختيار أو النبذ، اي تحديد النشاط الذين يود الشخص ان يشارك أو لا يشارك فيه الاشخاص الآخرين. كما يجب ان يكون هذا النشاط ذا معنى دلالة بالنسبة للأشخاص.
4. استخدام نتائج الاختبار السوسيومتري في اعادة بناء الجماعة ، فيجب ان يعرف الاشخاص ان اختياراتهم الايجابية أو السلبية سوف تلعب دوراً هاماً في تحديد الاشخاص الذين يشاركونهم في النشاط المعين.
5. كفالة السرية التامة في الاختيار.
6. ملائمة الاسئلة المستخدمة المستوى فهم اعضاء الجماعة.

وتكون طريقة الاستبيان عادة مناسبة للراشدين والاطفال الكبار، بينما يكتفي في حالة الاطفال الصغار الذين يجدون صعوبة في الكتابة بالتعبير الشفهي عن اختياراتهم . اما بالنسبة للإطفال الصغار جداً . والذين يعجزون عن التفاعل اللغوي بدرجة مناسبة فان الاسئلة السوسيومترية قد تكون عديمة المعنى بالنسبة لهم . وقد يكون من الاجدى استخدام وسائل اخرى مثل الملاحظة. كما ان حجم الجماعة يجب الا يزيد عن الحد الذي يعوق التفاعل بين الاعضاء اخيراً يجب ان

يكون بناء الجماعة من نوع يسمح بإمكان اعادة بنائها طبقاً لنتائج الاختبار السوسيومتري، وفي بعض الحالات قد يتعذر اعادة بناء الجماعة طبقاً لنتائج الاختبار السوسيومتري بسبب طبيعة بناء الجماعة أو طبيعة محك الاختيار. وعلى الرغم من أن الوضع يزداد اذا امكن استخدام النتائج الا انه من الممكن ان يدقق الافراد في اختيارهم حتى اذا لم يتوقعوا فائدة مباشرة منها، علماً بأن تحديد عدد الاختيارات لا يتجاوز الثلاث اختيارات وذلك لتحديد الزمن الذي يستغرقه الاختيار والتخلص من الحرج وسهولة التحليل الاحصائي.

كيفية تطبيق الاختبار السوسيومتري:

يتوقف صدق نتائج الاختبار جزئياً على الطريقة التي تصاغ وتقدم بها الاسئلة : وعادة يطلب من الاشخاص كتابة اسمائهم في اعلى بطاقات تعطى لهم لهذا الغرض . ثم رسم خط تحت الاسم وكتابة اسماء من يفضلون مشاركتهم في الموقف المعين مرتبة تحت الخط السابق . والمثال التالي (لجينجز) مع بعض التعديل عليه - نموذج لما يمكن ان يوجهه مدرس مثلاً الى طلاب صف في مدرسة ثانوية :سوف تحتاج الى تكوين لجان للعمل والدراسة مختلف المشكلات في مادة ... كل واحد منكم يعرف بالطبع الاشخاص الذين يود أن يعمل معهم في هذه المادة . اكتب اسمك في اعلى الصفحة : ثم اكتب الارقام ٣٠٢٠١ في الخطوط التي تلي الاسم . امام (١) اكتب اسم الزميل الذي تفضل ان تعمل معه أكثر من غيره. واما (٢) اكتب اسم الزميل الذي يليه من حيث تفضيلك له. وأما (٣) اكتب اسم الزميل الذي يلي (٢) من حيث تفضيلك له. سوف اكون اللجان بحيث يكون مع كل واحد منكم زميل او اكثر ممن اخترتهم. ويمكنك ان تختار زميلا من الزملاء الغائبين اليوم إذا اردت، ومن المهم ان يقدم الاختبار باهتمام وشيء من الحماس ومن غير تكلف بقدر الامكان. كما يجب اعطاء الوقت الكافي مع تحديد الزمن الذي تتم فيه الاجراءات الفعلية المترتبة على نتائج الاختبار. ومن الضروري أن يشعر من يطبق عليهم الاختبار بالاطمئنان الى ان نتائج اختباراتهم سوف لن يعرفها احد غيره.

تحليل البيانات:

الخطوة الأولى في التحليل هي تفريغ الاختبارات الايجابية والسلبية التي يتلقاها كل فرد في الجماعة في جدول يسمى ، جدول تفريغ الاختبارات -السوسيومترية ، أو المصفوفة السوسيومترية وقد حاول بعض الباحثين استنباط اجراء -ادق للحصول على الدرجة. وذلك عن طريق اعطاء دور معين لكل اختبار، ويمثل -عادة للاختبارات عن طريق رسم ما يسمى السوسيوجرام (Soclogram) وليست هناك طريقة مقننة لرسم السوسيوجرام فاذا كانت الجماعة تتكون من فئات مختلفة مثل الذكور والاناث أو من مستويات اقتصادية مختلفة ...الخ، فانه يرمز الافراد كل فئة بشكل خاص، فمثلاً قد يشار الى البنات بدوائر مختلفة والى البنين بمثلثات، واذا اريد توضيح الاتصال بين افراد الفئات المختلفة . يجمع كل فئة في جانب من جانبي السوسيوجرام . فمثلاً قد ترسم المثلثات كلها إلى اليمين ، والدوائر إلى اليسار . وفي كل فئة يكتب اسم الفرد الذي يذكر اسم اكبر عدد من المرات في الرمز او الشكل الاوسط. ثم تكتب اسماء من يليهم بالترتيب بعد هذا

الزمن يحسب عدد المرات التي تذكر فيها اسماؤهم. وبحيث تذكر اسماء من لم تذكر اسماؤهم اطلاقاً او من ذكرت اسماؤهم مرات قليلة في الرموز البعيدة عن الوسط. ويمثل للاختبارات بين الافراد بخطوط ترسم بين الرموز، ويمثل للاختبارات في اتجاه واحد بخط يبدأ من الشخص القائم بالاختبار برسم يشير الى الرمز الذي يمثل الشخص المختار اما الاختبار المتبادل، فيمثل له بخط بين الرمزين تتوسطه نقطة دائرية سوداء ينتهي او لا ينتهي بسهم في كل من الطرفين أو يمثل له بخطين ينتهي كل منهما بسهم في عكس اتجاه الآخر - اما الاختبارات السلبية سواء كانت في اتجاه واحد ام متبادلة ، فانه يمثل لها بنفس الطريقة ولكن بخطوط متقطعة ، أو ملونة . ويمثل الاشخاص الغائبين بدوائر او مثلثات متقطعة أو ملونة . ويفضل البعض أن تنحني الخطوط بحيث تتجاوز الرموز التي تقف في طريقها دون ان تخترقها.

لقد وجه كثير من النقد إلى السوسيو جرام نظراً لعدم توحيد طرق الرسم والصعوبة قراءته في كثير من الأحيان. وقد حاول (بروكتور ولوميس) ضبط عملية الرسم كميا . وذلك عن طريق تقدير المسافة التي تفصل بين موضعين سوسيومتريين، وهما يفترضان ان العلاقة بين الاشخاص تمتد على خط تنتشر عليه النقط التي يمثل كلا منها نوعا من تلك العلاقات.

<u>قراءة البيانات وتفسيرها:</u>

يعطينا كل من السوسيوجرام المصفوفة السوسيومترية معلومات هامة عن بناء الجماعة ، فهما يوضحان النمط العام للتنظيم، وشبكة الاتصال والقوة النسبية لمكانة الاختبار (او النبذ) بالنسبة للأفراد وتمتد انماط العلاقات السوسيومترية التي يمكن أن يكشف عنها السوسيوجرام أو المصفوفة السوسيومترية ومن هذه الانماط كما موضح في الشكل السابق:

1. الاختبار المتبادل :

اي تبادل الاختبار بين فردين قد يتساوى توزيعها على جانبي قطر المصفوفة كما هو الحال بين الازواج ٥,١,٥,٣,٣.٢

2. نبذ متبادل :

اي تبادل النبذ بين فردين. كما هو الحال في ٨٠٥.

3. زوج غير متكافئ:

فرد يختار فرداً آخر، ولكن الآخر ينبذه او يتجاهله . او ان الاثنين يتجاد كل منهما الآخر. كما هو الحال في الفردين ١٠١ و ٨.١٠ و ١٠٧.

4. سلسلة النبذ:

فردان ينبذ كل منهما الآخر. ويتبادل احدهما النبذ مع ثالث وهذا الثالث يتبادل النبذ مع رابع .. وهكذا ، ومثل هؤلاء الافراد يغلب عليهم التشكك والنزاعات الى تصيد اخطاء الآخرين والكشف عنها .

5. سلسلة الاختبار:

فردان يتبادلان الاختبار واحدهما يتبادل الاختبار مع ثالث وهذا الثالث يتبادل الاختبار مع رابع ... وهكذا ويمثل هذا النمط روابط انفعالية غير مقطوع داخل الجماعة، ولها تأثير بالغ مع تكوين الاتجاهات الجماعية .. والسلاسل القصيرة التي يربطها اختبار في اتجاه واحد. مع تداخل قليل بين السلاسل، تدل على ال افراد الجماعة لم يعطوا الفرصة الكافية للتعارف. وعلى العكس من ذلك السلامة التي تتداخل صلاتها وتتعدد اختباراتها المتبادلة فآنها تدل على بناء متكان للجماعة. وعلى انتشار القيادة نتيجة للاتصال الجيد والفهم المنتشر بين افرا الجماعة.

6. مثلث النبذ:

ثلاثة افراد يتبادلون النبذ . وقد يدل ذلك على الغيرة والاحتجاج على محار احدهم السيطرة على الجماعة ...الخ.

7. مثلث الاختبار:

ثلاثة افراد يتبادلون اختبار.

8. مربع النبذ:

اربعة أفراد يتبادلون النبذ . وهو نمط نادر وربما كان ذلك راجعا الى يمثل تبادل النبذ بصورة مركزة لدرجة يتفكك البناء بمجرد تكونه.

9. النجم:

استخدم (مورينو) هذا الاصطلاح للدلالة على مختلف صور الشعب والقيادة. الا ان (لندزي) استخدم اصطلاح الشخص الحائز على كثير من الاختبارات ، اي الشخص يتلقى عدداً كبيراً من اختبارات الاعضاء وان يشمل هذا الاصطلاح انماطاً عديدة والا تحدد بالنمط الذي حدده (مورينو) فقط.

١٠.العزلة:

تأخذ العزلة صوراً عديدة فقد تكون عزلة بسيطة وهي التي لا يكون فيها الفرد موضع اختيار او نبذ، كما انه من جانبه لا يختار ولا ينبذ احداً . وقد يختار الفرد افراداً خارج جماعته، ولكنهم لا يختارونه . كما ان اعضاء جماعته لا يختارونه وقد يختار الفرد احداً من جماعته ولكنهم يتجاهلونه، وقد تكون العزلة على صورة مثلث يتكون من ثلاثة افراد يتبادلون الاختبار ولكن الجماعة تنبذهم، ويمكن عن طريق تحديد الجماعات ذات الصلات الوثيقة بين اعضائها أن تسهل عملية تفسير السوسيوجرام. وذلك عن طريق وضع هذه الجماعات الفرعية بعيدة بعض الشيء عن بقية الأفراد.

فني الشكل السابق يمكن القول (بان الاعضاء ١.٢.٣.٤.٥) يجب أن يعطوا فرصة كافية للتعاون معاً، وكذلك يجب ان يعطي العضوين ٦،٧ هذه الفرصة ايضا . كما يمكن القول (بان العضو (٨) يجب أن يعمل مستقلا، او مع العضو (١٠)، وان العضو (٩) يمكن ادماجه في الجماعة (١.٣٠٢٠١.٥)، ولكن الأفضل ادماجه مع العضوين (٦،٧)، ومن المهم جداً مراعاة عدم

استخدام المعلومات المنتقاة في اختبار سوسيومتري في تقسيم الافراد في اي موقف اخر غير الموقف الذي قصدة الاختبار. حيث ان الاختبارات قد تختلف من موقف لأخر.

لقد اقبل كثير من الاختصاصيين في ميادين متعددة على استخدام الاختبارات السوسيومترية بسهولة ترجمة نتائج هذه الاختبارات الى توصيات عملية . فقد استخدمت في مجال التربية والصناعة والجيش والعلاج النفسي والخدمة الاجتماعية والمكانة الاجتماعية ومستوى الروح المعنوية. والشخصية وبناء الجماعة ، والتوافق الاجتماعي والقيادة.

كما ان انصار السوسيومترية، يرون أن مشكلة ثبات الاختبار السوسيومتري لأجود لها لانهم يفترضون ان الاختبار يعكس التغيير الحادث في بناء الجماعة وفي مكانات الافراد بعد فترة من الزمن. فاذا اعطى الاختبار نفس النتائج على فترات مختلفة . كان ذلك ناعياً للتشكك في الاختبار وليس دليلا على ثباته. ولكن يجب التمييز بين ثبات تفسير البيانات (اي مدى الثبات في وصف الباحثين المختلفين وتفسيرهم للبيانات نفسها (وبين ثبات البيانات نفسها).

اما الصدق فيتوقف على نوع الصدق المقصود، فمن الواضح ان هذه الاختبارات تمتاز بالصدق الظاهري ، اي انها تقيس ظاهريا الاختبارات بين الاشخاص . او على الاقل الاختبار اللفظي الا ان من المحتمل برغم ذلك ان يختار لسبب أو لأخر) مثل عدم الشعور بالأمن أو النقص في الثقة بالآخرين ... الخ) اشخاصاً غير اولئك الذين يودون فعلا التفاعل معهم في مواقف معينة. وقد لا يجد الافراد الدوافع الكافية المراعاة الدقة في اختباراتهم نتيجة عدم الاهتمام بالموضوع . أو نتيجة عدم توفر الوقت في حالة توجيه اسئلة كثيرة مثلاً.

اما عن الصدق العملي (أي وجود ارتباط مرتفع بين الاختبارات السوسيومترية، وبين محاكات أخرى مثل التعصب العنصري أو الديني او الاختبار الفعلي في مواقف الحياة ...الخ) فان عدم وجود ارتباط لا يدل بالضرورة على عدم صدق الاختبار السوسيومتري.

5) المنهج العلاجي:

أن العلاج النفسي ضرب من العلاج الذي يستخدم في الصلات الشخصية بين. المعالج والمريض. وهذا العلاج وكل علاج يستند الى ظاهرة الجماعة. ولكن مثل هذا العلاج النفسي لا يمكن أن يعد علاجاً جماعياً بالمعنى الدقيق للكلمة فلابد لذلك من جملة معالجين وجملة مرضى واحيانا يكون العلاج الجماعي مجرد تكاثر وتعدد العلاج الفردي . مع أن العلاج يحتاج في الواقع، لكي يكون علاجاً إلى قيام صلة ما بين المعالج والمريض، ولكي يكون علاجاً جماعياً ينبغي قيام الصلات بين المرضى، وان هذا المنهج يوفر فرصاً للأفراد للتعبير عن ذواتهم ومعرفتها والكشف عنها، وقد تستخدم هذه المواقف فرضاً لتحليل دينامية الجماعة. هناك انواع مختلفة من الجماعات فهناك جماعة العمل أو الجماعة الفنية ولها اعمال خاصة، وقدرة على التعاون، واساليب للتنظيم والادارة وما شابه ذلك بحيث توفر اطاراً صالحاً للعمل وهناك جماعات اخرى تؤثر فيها العوامل الانفعالية تأثيراً ملحوظا بحيث تعطل وظائفها العملية. ومن بين المفاهيم التي يقدمه لنا (بيون) مفهوم عقلية الجماعة، وهو تعبير اجتماعي عن ارادة الجماعة. يسهم فيها الفرد بطرق لا يعيها، ويتعرض الفرد لخط الجماعة كلما فكر أو سلك طريقة تخالف السلم الاساسي لها، ومن بين الصور الي

يتخذها العلاج الجماعي السيكودراما التي ابتدعها (مورينو) ويهدف هذا الاسلوب الى انماء المهارات واكساب الافراد البصر في مجال العلاقات الاجتماعية الانشائية عن طريق تمثيل المواقف التي تعبر عن مشكلات الحياة الواقعية. ففي السيكودراما يزداد الاهتمام بمشكلة فردية . أما في السوسيو دراما فيزداد الاهتمام بما هو مشترك في الادوار الاجتماعية لفرد مع الآخرين اي يزداد الاهتمام بالناس في تفاعل ادوارهم الثقافية. وكيف تدرك تلك الادوار . وكيف تنفذ وكيف تتغير باتفاقها أو بصراعها مع الادوار الثقافية الأخرى في الموقف الاجتماعي نفسه، أو في موقف مختلف وبعبارة اخرى تعالج السوسيو دراما مشكلات تكمن في موقف جماعي ويشارك في الدراما النفسية بطل الرواية أو المريض أو مدير المسرحية أو المعالج الرئيسي، والاشخاص الآخرون الذين يقومون بأدوار غير رئيسية في الجماعة ويعرض بطل الرواية اما مشكلة خاصة به او مشكلة خاصة بالجماعة، ويساعده الآخرون على بعض دراما الشخصية أو الجماعية في الحياة وعلى تصميمها. وتشكل الخبرات السيكولوجية لبطل الرواية تشكيلاً لا تسمح به ظروف الحياة العادية.

ومن المهم ان يكون الموضوع سوآءا كان شخصياً أم جماعيا مشكلة يشعر بها المشتركون في المسرحية والقائمون بالأدوار شعوراً حقيقيا ويجب ان يمثل المشتركون خبراتهم تمثيلاً تلقائياً، على الرغم من تكرار الموضوع كثيراً ما يكون له قيمة علاجية. ويجب أن يقوم المساعدون او الاعضاء الآخرون بدورهم الهام . وذلك لان مسئوليتهم هي أن يعملوا بالمستوى العلاجي للمسرحية الى اقصى مستوى ممكن، ويتضح مما سبق أن لهذه الاساليب امكاناتها في دراسة السلوك الاجتماعي. والاتجاهات الاجتماعية وكذلك استخدامها في اثارة اهتمام الجمهور ، أو في التعريف بمشكلة معينة. ولذلك عم استخدامها في معاهد التعليم. وفي برامج النهوض بالمجتمع المحلي. وفي الصناعة وفي بحوث سيكولوجية فضلاً عن العلاج النفسي.

6) القيمة الدينية:

الوحدة هي أعلى القيم بالنسبة للرجل الديني. وبعض رجال الدين يرى في كل حدث في الحياة شيئاً مقدماً، الا ان بعضهم يسعى وراء توحيد ذاته اي ان يخبر الوحدة عن طريق انكار الذات .

ويؤكد (شيرانجر) ان الانسان لا ينتمي بصورة خالصة الى واحد او آخر من هذه الانواع للقيم، وان الصور السابقة هي في تقديره الانواع النموذجية ..

ويعترف (البورت وفرنون ولندزى) انه اذا كان هناك ضعف في الاختبار فهو راجع اساساً الى الضعف في النظرية التي اعد الاختبار على اساسها ان مجالات استخدام الاختبار متعددة منها في التوجيه التربوي والمهني ، وفي اختبار الزوج او الزوجة، وفي علاج بعض المشكلات النفسية، كما يستخدم الدراسة الفروق بين الجماعات المهنية والدينية والطبقات الاجتماعية والاقتصادية.

اختبار الذكاء الاجتماعي:

بنا الاهتمام بهذا الاختبار في مجال اختبار الاشخاص لتولي الاعمال التي تتطلب القدرة على تكوين علاقات انسانية طيبة مثل الاداريين، والباعة في المجال التجارية واعمال السكرتارية ... الخ ومن اشهر الاختبارات في هذا المجال الاختبار الذي اعده (موسى وهنك وأمويك) بجامعة جورج واشنطن بأمريكا باسم اختبار الذكاء الاجتماعي ، وقد نقلت الصيغة المختصرة إلى العربية بوساطة الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل وسيد عبد الحميد مرسي (١٩٥٩) وتحتوي على قسمين هما التصرف في المواقف الاجتماعية، وملاحظة السلوك الانساني . وقد طبق على ٣٠٠ طالب وطالبة ممن اكملوا الدراسة الثانوية وممن تقدموا للالتحاق بمعاه، السكرتارية وبعض الاعمال الأخرى التي تتطلب الاتصال بالآخرين والتعامل معهم، والاعتراض الذي يوجه غالباً على استخدام مثل هذا النوع من الاختبارات هو انها ترتبط ارتباطاً مرتفعاً مع اختبارات الذكاء، لذا فان الأمر يحتاج الى مزيد من البحوث للتحقق مما اذا كانت اختبارات الذكاء الاجتماعي تقيس شيئاً غير ما تقيسه الاختبارات المألوفة للذكاء.

الوثائق الشخصية:

الميزة الاساسية لاستخدام الوثائق الشخصية في الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي هي انها تيسر لنا أن نرى الناس كما يرون انفسهم. وفي حدود هذا الهدف. يحسن ان تتوافر لتلك الوثائق شروط معينة منها ان تكون وثائق قام بكتابتها الاشخاص انفسهم وبدافع تلقائي من جانبهم، أو على الاقل اذا لم يتيسر تحقيق ذلك فانه يجب التأكد من أن مادة الوثيقة نفسها تتحدد بشخصية الكاتب وحده وليس نتيجة العوامل اخرى . كما أن الوثيقة يحسن أن تركز على الخبرات الشخصية لكاتبها . وفي هذا المعنى ان هذه الوثائق لا تشمل مادة المقابلات حتى اذا كانت غير مقننة، وان هذه الوثائق تكشف في مجال الخبرات الداخلية للأشخاص ما تكشف عنه اساليب الملاحظة في مجال السلوك الظاهر، أي أنها تكشف للباحث عن الحياة التي كان يعيش فيها الشخص دون تدخل من الباحث.

والباحث في مثل هذه الدراسات. يجب أن يهتم بالتأكد من صدق الوثائق الشخصية . أي عدم تعرضها للتحريف الناتج عن خداع الذات أو ضعف الذاكرة ...الخ كما انه لا يجوز للباحث أن يعمم من هذه الوثائق خارج حدود من قاموا بكتابتها . الغالب ان مثل هذه الدراسات لا تهدف لأغراض احصائية ولكنها تسعى وراء الاستطلاع والوصف اكثر مما تسعى للتحقيق من الفروض، ويحسن الجمع بين هذا الاسلوب وغيره من اساليب الدراسة لغرض التكامل.

الفصل الرابع

التنشئة الاجتماعية عملية التنشئة الاجتماعية

النمو اجتماعي من الطفولة الى الشيخوخة الذات ومفهوم الذات

دور الأسرة

دور المدرسة

دور جماعة الرفاق

التنشئة الاجتماعية:

بعد بعض علماء النفس الاجتماعي ان عملية التنشئة الاجتماعية هي محور المادة الدراسية لهذا العلمي.

أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية موضوعية حيث يعمل المجتمع بمقتضاها فيؤثر على الفرد فيصبح بموجبها ومن خلالها متلائما مع حضارته بطرق منظمة ، وهي بهذا عملية نقل الحضارة من الاجيال السابقة إلى الحاضرة ثم ايصالها إلى المستقبل وهي ايضا عملية لتطوير المهارات والاساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق اهدافه وطموحاته في الحياة السليمة في مجتمعه. والتنشئة تبعا لذلك هي تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة في هذه الثقافة، ولكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها من غيرها من الثقافات وتحاول كل ثقافه طبع أفرادها بطابعها ولكن على الرغم من ذلك نجد اختلافات بين الافراد في الثقافة الواحدة نفسها تحتمها البيئة الجغرافية والاجتماعية. أن هدف التنشئة الاجتماعية ينبغي أن يحدد من قبل المجتمع ونموذجا للشخص مرغوبا به وعليه العمل بموجبه . والاسرة الوحدة الاجتماعية التي تمثل المجتمع وهي المسؤولة عن اعداد الطفل للقافته، فهي التي تنقل اليه الآراء والافكار والمعتقدات والقيم والعادات السائدة في مجتمعه ، اضافة الى هذا فان الطفل سيتعرف على الادوار الاجتماعية والاتجاهات . المؤيدة لها وكيفية تنسيقها مع ادوار الآخرين وكذلك يتعرف على المهارات التي. تساعده على المشاركة في المنظمات الاجتماعية، ثم يأتي دور المدرسة التي ستساعده على اكتساب الخبرات واعداده لحياة الجماعة. فالفرد يتعلم عن طريق قيامه بعمليات فرعية ضمن عمليات التنشئة الاجتماعية التي من اهمها عمليات التفكير أو المحاكاة والايحاء والمناقشة فالطفل يقلد الكبار وخاصة الوالدين فهم المثل الاعلى له . اما الايحاء فيكون بطريق مباشر عن طريق الاقتناع او عن طريق غير مباشر فسماع الطفل من أهله حب الوطن والاخلاص له سيترك في شخصيته اثرا عميقا . اما المنافسة فهي الحث عن طريق عدة اشخاص يتنافسون فيما بينهم للتعلم وتتضمن الرغبة في الحصول على الثواب والابتعاد عن العقاب أن هذه الطرق تشكل حياة الفرد منذ السنوات الأولى لطفوته لتحوله من مجرد كائن حي إلى كائن بشري اجتماعي، ويرى (كاردتر) ان هذه الطرق أو النظم مسؤولة عن تكوين الشخصية للأفراد في ثقافتهم. ويرى أن هذه النظم تشمل الخبرات وانماط السلوك المتصلة بالعناية بالطفل كالرضاعة ،والفطام، والتدريب على الاستقلال، والتصرف ازاء الانفعالات ومعاملة الكبار والتربية الجنسية.

وهناك دراسات عدة قام بها العلماء لدراسة العادات المتصلة بهذه النظم في الثقافات المختلفة البدائية منها والمتحضرة وحاولوا في ضوئها الكشف عن مكونات -الشخصية الاساسية كما حاولوا تفسير ما يسود الثقافة من نظم كنظام (الاسرة والزواج والطلاق والدين)، وما اليها مما يسمونها بالنظم الثانوية في ضوء الشخصية الإساسية، ويرون أن مثل هذه النظم الثانوية هي نتاج حتمي للشخصية . الاساسية . يظهر لنا ان الفرد يولد وهو ليس بكائن بشري فقط بل تقوم الثقافة . عن طريق الاسرة بتشكيل استعداداته وتنميتها وتوجيهها طبقا لنظم وعادات معينة، فيمكن النظر اليه ككائن اجتماعي ايضا.

النمو الاجتماعي من الطفولة الى الشيخوخة:

يكون الفرد عند ولادته مخلوق غير اجتماعي. ولا يعير اهتماما للأشخاص -المحيطين به مادامت حاجاته الجسمية مشبعة ، ولا يستجيب الوليد خلال الشهرين -الأولين من الحياة الا للأشياء الموجودة في محيطه. وتحدث الاستجابة فقط عندما تكون المثيرات قوية كالأصوات العالية مثلا، ومع بداية الشهر الثالث يبدأ السلوك الاجتماعي بالتغلب.

يبدأ السلوك الاجتماعي عندما يظهر الوليد تمييزا بين الناس والاشياء الجامدة -ويستجيب استجابة مختلفة لكل منها ، ففي هذه الفترة تقوم عضلات عينية بوضعية تمكنه من النظر الى الناس والاشياء ومتابعة حركاتهم. كما أن سمعه يكون قد نما الى درجة تمكنه من التمييز بين الاصوات المختلفة وتحدث أولى استجابات الطفل الاجتماعية نحو الكبار. لان احتكاكه الاجتماعي يبدأ معهم عادة. ويبكي الطفل في الشهر الثالث اذا ترك وحيدا ، ولكنه -يسكت اذا تحدث اليه احد . ويمكنه ان يتعرف على امه أو من يحيطون به، ويظهر خوفه من الغرباء، ومنذ الشهر الرابع تظهر لديه الرغبة في ان يحمله الاخرون ويركز انتباهه على الوجوه، ويبتسم لمن يتحدث اليه، ومنذ الشهر الخامس والسادس يميز الطفل بين الابتسام والزجر وبين صوت الرضا وصوت الغضب،وفي الشهر الثامن أو التاسع. يحاول الطفل ان يقلد نطق بعض الكلمات والقيام ببعض الاشارات البسيطة. وفي الشهر الثاني عشر يمتنع عن القيام بعمل عندما ينادي عليه بـ لا، وفي الشهر الخامس عشر يزداد ولع الطفل بالكبار . كما تزداد رغبته في ان يكون معهم وان يقلدهم، وفي عمر سنتين، يستطيع القيام ببعض الاعمال البسيطة التي يطلبها منه الكبار، وهكذا فانه خلال فترة قصيرة نسبيا يتحول الطفل الى عضو فعال يشارك في النشاطات الأسرية، وتنمو استجابات الطفل الاجتماعية نحو الاطفال بسرعة خلال السنة الثانية.

ففي الفترة ما بين الشهرين ١٣ - ٨ يقوم الطفل بتقليد طفل آخر في اللعب والابتسام وينتقل اهتمامه من مواد اللعب الى الطفل الذي يلعب معه. وخلال النصف الثاني من السنة الثانية يعد الطفل مواد اللعب وسيلة لإقامة العلاقات الاجتماعية مع الاطفال الآخرين. ويعدل سلوكه مع من يلعب معه . ويتعلم الطفل منذ نهاية السنة الثانية الى السنة السادسة كيف يقيم العلاقات الاجتماعية والتوافق مع الناس خارج البيت. خاصة مع الاطفال ممن هم يمثل عمره. ويحدد حجم اتصال الطفل بالأطفال الآخرين في هذه الفترة مدى نموه الاجتماعي في المستقبل .. لذلك فان الاطفال الذين تتوافر لهم فرصة الذهاب الى رياض الاطفال يحققون توافقاً اجتماعيا افضل ممن لا تتوافر لهم تلك الفرصة وبعد نوع الخبرات الاجتماعية التي يحصل عليها الطفل اهم من عددها.

كما ان الوقت الذي يقضيه الطفل مع الكبار يقل كلما تقدم في العمر، ويزداد في نفس الوقت اتصاله بأقرانه ويجد المتعة في وجوده معهم وتزداد رغبته في الاستقلالية عن الكبار. وقد اظهرت الدراسات ان الاطفال في مرحلة الطفولة المبكرة يزداد اتجاههم الايجابي نحو الاطفال الآخرين ويقل عدوانهم نحوهم كلما تقدموا في العمر، بعد ان يدخل الطفل المدرسة الابتدائية . فان دائرة رفاقه تنمو وتتوسع . ففي بداية الحياة المدرسية يدخل الطفل في مرحلة ، جماعة اللعب ، وهي مرحلة ينمو فيها الضمير الاجتماعي بصورة سريعة ، حيث يصبح الطفل عضوا في تلك الجماعة، التي تحمل بالتدريج محل الاسرة في التأثير على سلوكه واتجاهاته ويميل الطفل عادة الى ان يختار أقرانه من نفس عمره وممن لديهم ميول تشابه ميوله وان اهم متطلبات النمو في هذه الفترة،

هو أن يكون الطفل قد حقق درجة حيدة من النجاح في عملية التطبيع الاجتماعي. ويكون الطفل عندئذ عضوا في جماعة من الاطفال لها تأثير على القيم والاتجاهات التي اكتسبها في البيت كما ندربه على الاستقلالية بما تضع عليه من مسؤوليات وقد تؤدي الجماعة الى نمو الصفات المرغوبة بالتعاون واضعاف الانانية والنزعة الفردية لديه. ومن جهة اخرى قد تؤدي الى نمو صفات غير مرغوبة كالتغيب عن المدرسة أو عدم احترام القواعد الاجتماعية ومعاييرها.

كما ان الجماعة الرفاق فوائد اخرى اذ سيكتشف الطفل اشياء تعبر عن نفسه كقدرته على القيادة او الخضوع وقابليته على التحصيل الدراسي ، واستجابة الآخرين نحوه ... كل هذه الخطوات تعد خطوات مهمة في النمو الاجتماعي . ثم يدخل الطفل مرحلة المراهقة التي تتقوى فيها أواصر العلاقات الاجتماعية بينه وبين بيئته . الاجتماعية. فهذه الفترة تتميز بالمشاعر والإحساسات ذات الصلة بالمثل والقيم -الاجتماعية فالمراهق يتمثل قيم مجتمعه السائدة ثم يرتبها وفق نظام نسبي - لا مطلق، ويتم نمو القيم والاحكام الخلقية وفق تسلسل مرحلي ثابت . لكن الانتقال من مرحلة الى التي تليها او التوافق فيها يعتمد على طبيعة العلاقات التي عاش فيها المراهق في طفولته، وفي هذه الفترة يحاول كل من الفتى والفتاة الاستقلال بنفسيهما ، والتحرر من ضغط الوالدين.

وفي هذه الفترة وخلال النضج الجنسي يقوي ميل المراهق للجنس الآخر كما هو -الحال في جميع الموافق الجديدة التي تواجه المراهق عليه ان يتكيف بهذا الوضع . الجديد من مظاهر نموه الاجتماعي ايضا ولعه بإظهار ذاته في سبيل جلب اهتمام -الآخرين به ورغبته في ان يساهم واياهم في حياته العملية والاجتماعية.

ان ملخص مهمات نمو المراهق الاجتماعي تضم ست حاجات مهمة هي :

1. الحاجة الى اقامة صلاة فردية مرضية.
2. الحاجة إلى توسيع صداقات الطفولة عن طريق التعرف على افراد جدد يختلفون في خلفياتهم وخبراتهم وافكارهم.
3. الحاجة الى الانتماء والقبول والاعتراف به ضمن فئة اجتماعية معينة.
4. الحاجة الى اجتياز الميول وحيدة الجنس الخاصة بالطفولة.
5. الحاجة الى تعلم اشغال وممارسة دوره الفردي في النمو الاجتماعي واختيار شريك الحياة ثم الزواج الناجح.
6. الحاجة الى اشغال دوره في السلوك الملائم لجنسه كرجل أو أمراءه.

في فترة المراهقة تصبح الحاجة الى الصداقة أمر بالغ الاهمية أن حاجة المراهق الأولى هي البحث عن رفيق يلجا اليه ويستطيع أن يمنحه الود المتبادل. ويجد . الديه ميولا واهتمامات وحاجات متشابه لميوله واهتماماته . لذلك فهو بحاجة الى : الصداقة حقيقية مخلصة قائمة على الثقة والتفاهم . ان شعور المراهق بانتمائه إلى عدة جماعات مثل الاسرة وجماعة الرفاق وانتمائه الى نظام اجتماعي عام . ذو اهمية في منحه الثقة والاطمئنان، حيث تعد نزعة الفرد الى الامتثال والاتحاد مع هذه الجماعات والاسهام فيها والمؤامة معها من اقوى الدوافع في العلاقات الانسانية.

اما التغيرات العصبية فتأتي على صورة تقليل ونقص تدريجي في قوة الارجاع، والاستجابات العصبية كما أنها تشمل العديد من العمليات العصبية التي تعتمد على حيوية الدماغ مثل الذاكرة ولتعلم واكتساب الخبرة والمهارة الجديدة، وتحدث كذلك تغيرات في الحياة النفسية للفرد تدريجيا كما هو الحال في عمليات التغيير الجسمي والعصبي الا ان التغيير النفسي يبدو سريعا وواضحا في بمرحلتين من مراحل العمر وهي مرحلة المراهقة ومرحلة الشيخوخة، وأهم ما يحدث من تغيير في المرحلة الأولى هو قلة التوافق بين الحياة العاطفية والسلوك والفكر عند المراهق. أما التغييرات التي تحدث في الكبر فأنها تتسم بصفات التصلب النفسي مما لا يمكن الفرد من التكييف الكافي لمتغيرات الحياة وظروفها خاصة المستجدة وغير المألوفة منها ويزامن ذلك هبوط في درجة الحماس وفي الطموح والاندفاع نحو تحقيق الاهداف التي تبناها الفرد في دور سابق، كما يحدث تضييق وتقليص في مجال اهتمامات الفرد لما يجري حوله، كما يتركز اهتمام الفرد بشكل متزايد بناته أو ما يتصل به مباشرة ويبدو عليه ما يدل على تناقص في المرونة في التعامل وفي الاستعداد لفهم وجهات نظر الآخرين . ويميل الى التمسك بما يتذكره عن زمانه القديم والحنين اليه أكثر من اهتمامه وتقديره العالمة الحاضر، وهو لذلك يتصف بعناد الرأي وبصعوبة الاقتناع والتقبل لما هو جديد في الحاضر. وتظهر بعض بوادر فقدان الفرد لبعض مظاهر التوازن النفسي والمقدرة على التحكم بعاطفة مما يؤدي الى حدوث انفعالات عاطفية انية وحادة اشبه ما تكون بالثورات الانفعالية التي يعاني منها الاطفال والاحداث وهو الأمر الذي يبرر وصف الشيخوخة بانها الطفولة الثانية.

كما تحدث تغيرات في العديد من العمليات العقلية بسبب الكبير. وهذه التغيرات غير متساوية أو متوازية في جميع الملكات العقلية . فهنالك تفاوت في التغير بين ملكة وأخرى وبين فرد واخر. وعلى العموم فأن هنالك ثلاث فئات من انواع التغير في الفئة الأولى يبدو أن العمليات العقلية تتقدم وتتحسن مع تقدم العمر. وفي الفئة الثانية نجد العمليات العقلية التي تصل كروتها في سن المراهقة وتظل بعد ذلك ثابتة طول الحياة، والفئة الثانية تشمل العمليات العقلية التي تميل تدريجيا إلى الهبوط والتنازل مع تقدم العمر. وبصورة عامة فأن حصيلة التغيرات العقلية التي تحدث في الكبر تعتمد على توفر عوامل عدة منها نوعية العمل الذي يعهد به الى الفرد وما يتطلبه هذا العمل من تجربة وممارسة أو من ذكاء وتعليم وذاكرة.

اما التغيرات الاجتماعية، فهنالك الكثير من مظاهر التغيير في المجال الاجتماعي للفرد بتزايد وتقدم العمر، فبعضها يأتي نتيجة لعجز الفرد عن مجاراة وملاقاة ما تطلبه الحياة من تغيير في نمط علاقاته الاجتماعية، وبعض ذلك يأتي بسبب ما يحدث من تبدل في التكوين العائلي مع تقدم العمر من تشتت بعض افراد العائلة بسبب الوفاة او الرحيل او الزواج أو بسبب التغير في ظروف العمل أو الموقع الاقتصادي. وجميع هذه العوامل تحدث تغييراً في الصلات الانسانية وفي اسلوب الحياة وفي تصور الفرد لمكانته الاجتماعية وفي تقديره لنفسه وفي جدوى حياته في العائلة أو المجتمع ، واذا ضاقت جميع هذه المجالات، فأن لها ان تدفع بالفرد الى وضع من العزلة الاجتماعية. ومن الواضح ان اثر هذه العوامل يتفاوت بين فرد واخر كما أن هذا الأثر يعتمد الى حد كبير على المكانة المعنوية التي يحظى بها المن في المجتمع والعائلة التي ينتمي اليها أو على مدى مساهمته بالنشاد الاجتماعي.

الذات ومفهوم الذات:

والذات هي المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه باعتباره مصدر للتأثير والتأثر في البيئة المحيطة، أي هي مجموعة التنظيمات السلوكية التي يمكن أن تصدر عنه نحو البيئة المحيطة وعلى الاخص بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه، ويتكون مفهوم الذات من افكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الابعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية. وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس اجرائيا في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو " الذات المدركة ، والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين . الذات الاجتماعية، والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود ان يكون " الذات المثالية"، ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية وتكامل وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه ولذا فأنه ينظم ويحدد السلوك، انه بالرغم من أن مفهوم الذات ثابت الى حد كبير . الا انه يمكن تعديله تحت ظروف العلاج النفسي الممركز حول العميل الذي يؤمن بأن احسن طريقة لأحداث التغير في السلوك تكون بأن يحدث التغير في مفهوم الذات هذا ما يقوله كارل (روجرز) صاحب نظرية الذات.

ومن أهم المفاهيم التي تؤكدها نظرية روجرز في الذات ما يأتي:

1. الفرد هو الفرد ككل.
2. المجال الظاهري (عالم الخبرة) الذي هو مجموع الخبرات الفردية أو الخبرة في كليتها وليس في جزئيتها.
3. الذات وهي ذلك الجزء من المجال الظاهري الذي يتكون من الادراكات والقيم المتعلقة بالذات أو "الانا" ، او بالفرد كمصدر للخبرة والسلوك والذات التي تكون المفهوم الجوهري لنظرية الشخصية عند روجرز لها خواص متعددة منها :

أ- انها تنمو بتفاعل الفرد مع البيئة.
ب- انها ربما تعرض قيم الافراد الآخرين وتدركها بصورة مشوهة.
ت- ان الذات تكافح من اجل الثبات.
ث- ان الفرد يتصرف بأساليب تكون موافقة مع تكوين الذات.
ج- ان الخبرات التي لا تكون مطابقة وموافقة مع تكوين الذات تدرك كمهددات.
ح- ان الذات تتغير نتيجة للتعلم والنضج.

وقد ظهر تطور في نظرية الذات على يد (فرنون) Vernoon ١٩٦٣ والذي يذكر ان هناك عدة مستويات للذات، وطبقاً لآرائه فان كل فرد يشعر انه يملك نواة « حقيقية » أو ذات مركزية تختلف عن الموجودات الخارجية وان الذات المركزية معقدات ذات اجزاء كثيرة وهي في صراع دائم مع بعضها. ولكنها تكون على الرغم من ذلك موخدة بواسطة احساس الذاتية . وان مفهوم الذات يحتوي على دوافع : تظهر احياناً انها تعمل خارج ضبط الفرد وتحكمه وارادته أي بعيداً عن تحكم الفرد ويحتوي ايضاً على المثاليات والاماني والمستويات (الانا الاعلى) الذي يختلف عن المستويات الاخرى. وينظر فرنون الى الذات كما لو انها مكونة من مجموعة من المستويات الادراكية في تكوين الشخص الداخلي أو في نظامه الادراكي ويوازي هذه المستويات الداخلية

مفاهيم أو اتجاهات نحو الآخرين والبيئة وهذه المفاهيم أو الاتجاهات توجد هي الاخرى على اربعة مستويات كذلك هي الاجتماعية أو العامة، البصيرة، الخاصة ، العميقة، وهي عبارة عن المفاهيم الخارجية التوجيهية، ومن هذا العرض لآراء فرنون نجد انه قد اضاف هذا التقسيم الذي اقامه على المستويات التي يتكون منها مفهوم الذات، وذلك يعتبر مرحلة متقدمة في تفسير محتويات الذات، ومما يؤكد هذا التفسير انه قد تبين من دراسة « جون فرانسيس » ١٩٦١ عن مفهوم الذات لدى الجانحات جنسيا، ان مفهوم الذات الخاص (الذات الخاصة عند فرنون) ترتبط بدرجة كبيرة باتجاهات الاقلال من تقدير الذات والتغير في مفهوم الذات.

كيف ينمو مفهوم الذات ؟ وفقا لروجرز يلاحظ الاطفال اعمالهم الخاصة كما يلاحظون سلوك الآخرين. السنوات المبكرة يكون الاطفال واعين بالاتساق في سلوكهم . ويحددون لأنفسهم سمات معينة . مثلا " الغضب بسهولة ، ولديه كثير من الطاقة . انهم يعطون فيما لأوصاف الذات « فالغضب بسهولة ، يدرك سلبيا على حين لديه طاقة ، يدرك ايجابيا . وتتطور مفاهيم الذات ببطء نتيجة لتفاعل الاطفال مع الآخرين وبما يحيط بهم ويفترض روجرز ان الكائنات البشرية تجاهد التحقق الاتساق بين الخبرات وصورة الذات.

لقد أدرك روجرز حراجة وقت الطفولة في نمو الشخصية تماما مثل ما فعلت النظريات النفسية الدينامية. انه مثل كثير من اصحاب النظريات الفرويدية، يركز على التأثيرات الباقية للعلاقات الاجتماعية المبكرة، ويحتاج مع كل فرد أن يحصل من الآخرين الهامين على الاعتبار الايجابي والدفء العاطفي والقبول . ان الاطفال في رأي روجرز سوف يعملون أي شيء الاشباع هذه الحاجة. ولكي يحصل الاطفال على قبول الوالدين عادة ما ينكرون ادراكاتهم الخاصة، وانفعالاتهم واحساساتهم وكذلك لأفكارهم، ويؤدي هذا الاسلوب الى مشكلات على المدى البعيد.

اما في مرحلة المراهقة، فأن التغير الات المفاجئة الداخلية والخارجية لها أثرها في تغير مفهوم الذات لدى الشخص . فبعد ان كان الشكل الخارجي للجسم ذا قيمة /ثانوية بالنسبة للطفل حتى الطفولة المتأخرة ترتفع قيمته في المراهقة حتى ليصبح بؤرة الشخصية ، وربما ساعد على ذلك نظرات الآخرين والقيم الاجتماعية السائدة، وهذه التغيرات جميعاً ناتجة عن ازدياد شعور المراهق بذاته، وقد يزداد الصراع حدة وتكون اتجاهات النمو هذه بمثابة بذور لعدة من الانحرافات كالجناح، والعصاب وربما الذهان والانتحار، وهذه الحقائق جميعاً، ومظاهر الصراع الاقل من ذلك تشير الى تضخم الشعور بالذات في فترة المراهقة وفي هذه الفترة نجد أن الذات المثالية للمراهق غالبا ما تنسق حول البيئة الاجتماعية. وفيها غالبا ما تؤثر المدرسة وجماعات الشباب ودور العبادة على مثاليات المراهق.

وتصل قيمة ادراك الفرد لذاته عندما تكون خبراته في وحدة مرتبطة مع بيئته المتغيرة، ويعرف ذاته جيداً عندما يميزها عن غيره من الافراد وكذلك عن العالم الخارجي بالنسبة لحياته هو، وهكذا فان التغير المستمر في البيئة الخارجية يؤكد استقلال ذاته وتصور الفرد لذاته من خلال الادوار الاجتماعية التي يقوم بها يعد من العوامل الهامة التي تساهم في تكوين مفهوم الذات لديه، فكل مجتمع يضع للفرد مجموعة من اشكال الادوار التي يقوم بها من خلال مراحل حياته، هذا بالإضافة الى ان كل فرد يكون لديه دور معين في اسرته بما في ذلك العلاقات داخل الاسرة. اما في خارج

الاسرة فان الفرد يشغل بعض الادوار المعنية اثناء وجوده مع الجماعة الى ان يصل الى القيام بالدور المعني الذي له دور هام في حياته، وجميع هذه الادوار التي يمر بها توثر في مفهومه عن ذاته، ويكون لها أثرها الواضح في اجراء بعض التغيرات المعينة على الذات وذلك لارتباطه بأفراد آخرين في البيئة لان هؤلاء. الافراد الجدد يكونون ذات معنى بالنسبة له وبدرجة تأثيرهم عليه تنشأ لديه مجموعة اتجاهات قوية نحو تغيير الذات والسلوك.

وعلى هذا يمكن أن نتصور كيف ينمو مفهوم الذات من الخبرات الجزئية التي يترتب عليها نمو التنظيمات السلوكية المختلفة، كما يترتب عليها نمو مفهوم عام عن الذات، وهكذا نجد أن التفاعل الاجتماعي والمؤثرات الاجتماعية لها دور كبير في تكوين مفهوم الذات، لدى الفرد لذلك فعلى الوالدين والمعلمين وقادة المجتمع ووسائل الاعلام المساهمة الفعالة في نمو مفهوم الذات عند الاطفال والمراهقين وأن يجعلهم متقبلين لذاتهم محترمين لهم وذلك عن طريق تهيئة المؤثرات الاجتماعية وتوفيرها التي من شأنها تحقيق ذلك لما له من اهمية في عملية التكييف الشخصي والاجتماعي.

دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية:

ان الاسرة هي النظام الاول في تنشئة الطفل اجتماعيا، تحويله إلى كائن اجتماعي : فعن طريق معاملتها تتكون شخصية الطفل السوية وغير السوية ولاتجاهات الآباء نحو الابناء وعلاقاتهم بهم له الاثر في التنشئة الاجتماعية. فاضطرابات الشخصية لا تعود الى مجرد طريقة معاملة الطفل وانما يعود أيضا الى الجو الذي يسود المنزل ونوع الخبرات التي اكتسبها في تفاعله مع والديه ... الخ من العوامل ، من هذا نستنتج ان المجال الذي ينشأ فيه الطفل يؤثر تأثيراً كبيراً في نموه ، فالعوامل البيئية والثقافية للآسرة تشكل سلوكه وشخصيته عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي فسلوكه يرتبط تدريجيا بالمعاني التي تتكون عنده من المواقف التي يتفاعل معها. فالطفل يولد ضمن جماعة قد حددت معاني معظم المواقف التي تواجهه وكونت لنفسها قواعد مناسبة للسلوك فعملية التطبيع الاجتماعي للطفل تمر في بمراحل عدة ففي المرحلة الأولى يتكيف الطفل المطالب جسمه وحاجاته البايولوجية، والظروف البيئية المحيطة به. وفي هذه المرحلة يتقبل المعاني التي حددها الكبار للمواقف التي يمر بها وتتحدد بالتدريج بعض انماطه السلوكية نتيجة لما يترتب على استجاباته من نتائج فيتعلم بالتدريج أن يستبعد بعض الانماط السلوكية التي لا تؤدي الى اشباع حاجاته البايولوجية . وقد يتعرض الطفل للصراع عندما تتغير العلاقات المرتبطة بإشباع حاجاته البايولوجية والتي يستجيب ليا الطفل كتغيير مفاجئ كما يحدث عند الفطام الذي يرتبط بنواحي نفسية تتعلق بالشعور بالعطف والحنان والطمأنينة. فاذا كانت طريقة الفطام قاسية مترك آثار نفسية عميقة في الطفل قد يكون لها أثر في المستقبل وليس غريبا ان يشعر الطفل بقلق دائم لا يعرف مصدره أو يعوض عن الثدي بمص اصبعه وقضم اظافره وتتفق الآراء على ضرورة اتمام عملية القطام بالتدرج، ولا بأس من اتمام عملية الفطام في نهاية العام الأول على أن تراع الفروق الفردية بين الاطفال والحالة الصحية لكل طفل . كما تتكون البذور الأولى للأمراض النفسية كما بينته الدراسات الإكلينيكية ترجع الى ما يتعرض له الطفل من صراع حاد في مواقف الحياة منذ الطفولة وقد يحدث هذا نتيجة لتذبذب الكبار في معاملة الطفل للموقف الواحد مما يعيق الطفل عن تكوين

توقعات مستقرة بالنسبة للعلاقات التي يستجيب لها فيرى العلماء ان العادات المتبعة في تنشئة الطفل بما فيها من شدة أو لين تطبع هؤلاء الاطفال بطباع يميزهم عن بعضهم في الكبير، وهكذا يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف التي يتعرض لها أي ان معاني المواقف تتضمن المعاني التي ترتبط باتجاهات الاباء حيال سلوكه، وبالتدريج يتعود الطفل ان يسلك في غيبة الاباء كما يسلك في وجودهما وكلما نمى الطفل حركيا ولغويا واجتماعيا وعقليا وانفعاليا عبر سنوات طفولته سيدرك ذاته عن طريق تبنيه لاتجاهات الغير نحوه أي بتحديد علاقاته بغيره أثناء تفاعله وتكشف الينا الدراسات ذلك عن طريق ملاحظة الاطفال في لعبهم. ان الذات نتاج اجتماعي تتشكل نتيجة تفاعل الطفل في البيئة الاجتماعية الأولى أي الاسرة.

ويعمل الطفل على توطيد مركزه في المجتمع الذي يحيط به فيجد إن اهم الناس حوله هم اعضاء اسرته، ويدرك ان والديه هما العضوان الرئيسان في مجتمع الاسرة وهما مبعث الرضاء والارتياح كما انهما مصدر الزجر والتحريم. ومن هنا تصبح عواطفه نحوهما مزيجاً من الرضا ومن الاحتجاج، ويحاول كل طفل ان يظفر بمكانة مرموقة عند ابوية ، ومن اجل هذا نجده يظهر الغيرة من اخواته واخوانه، والغيرة أو المنافسة امر طبيعي بين الاخوة وعلى الآباء أن يوطدوا انفسهم على تقبل هذا الأمر. ان قيام الاسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لأدماج الطفل في الإطار الثقافي العام وتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب اليه. وتدريبه على طريقة التفكير السائد فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه. فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الافكار والمعتقدات والقيم والاساليب، فلا يستطيع التخلص منها لأنه لا يعرف غيرها بعد ان اصبحت من مكونات شخصيته.

ويرى العلماء ان التنشئة الاجتماعية تستغرق السبع أو الثماني سنوات الأولى من حياة الطفل . اما عملية تربية الطفل فيما يلي ذلك من مراحل حياته فيفضلون تسميتها (التثقيف) اي تعليم الطفل طرق وعادات ثقافية، ويمكن تلخيص مظاهر التنشئة الاجتماعية في الخمس سنوات الأولى فيما يأتي:

1. تعلم الطفل تناول الاطعمة الجافة.
2. تعلم المشي.
3. تعلم ضبط حركة المعدة.
4. تعلم الحياء الجنسي.
5. فهم العالم المادي في البيئة المباشرة في المنزل والشارع.
6. التمييز بين ما هو صواب وما هو خطا.
7. تعلم السلوك المناسب مع الاخوة ومع الكبار.

اما ما بعد السنوات الخمس الأولى فتتلخص مظاهر التنشئة إلى ما يأتي:

1. تعلم العناية بالنفس كالاستحمام وارتداء الملابس دون مساعدة.
2. اكتاب بعض المهارات في اللعب.
3. معرفة الدور الجنسي، فيسلك الولد كولد والبنت كأنثى.
4. تعلم التعامل مع الغير ممن هم في نفس السن.
5. تعلم القراءة والكتابة والحساب.
6. فهم ضرورات الحياة اليومية.
7. تكوين بعض القيم.
8. تكوين اتجاهات نفسية نحو الاسرة والمدرسة والدين والدولة وما الى ذلك.
9. التحكم في الانفعالات والعواطف.
10. تكوين اتجاهات سليمة نحو النفس.

وامل أهم ما تعطيه الاسرة للطفل هو تجديد دوره في ثقافته تبعا لجنسه وسنه ومستواه الاجتماعي والاقتصادي، وتحديد مركزه واعطائه فكرة عن نفسه ففيما يتعلق بتحديد الدور فالثقافة هي التي تحدد الدور العام للطفل كذكر وكأنثى، فيعد الطفل منذ اللحظات الأولى للولادة الدورة كرجل وكأمرأة فيدرب كل منهما، على اسلوب معين في الحياة أي يتعلم دوره فيها، ويتحدد هذا بن الطفل وجنسه ويطلق على ذلك بعملية التنميط الجنسي أي اصطناع المعتقدات واوجه النقاط التي تحكم الحضارة التي ينشأ فيها للطفل، وبأنها مناسبة للجنس الذي ينتمي اليه، ذلك للاعتقاد الشائع بأنه لابد وان يختلف الأولاد من البنات في السلوك . غير أن هذه المعتقدات حول الخلاف بين الجنسين قد تكون ظاهرة احياناً وغير ظاهرة احيانا اخرى. ومن الطبيعي ان الاباء يتفاوتون فيما بينهم من حيث اتجاهاتهم نحو سلوك ابنائهم وهل هي خاصة للبنات أو للبنين، ولكن بصفة خاصة ينظر الى بعض صفات السلوك كالعدوان البدني والسيطرة، التخريب، والعناد والميل الى المشاجرة والغضب والاستقلال بأنها سمات تخص البنين، بينما الخوف، والاتكالية، والوقار الاجتماعي، والنظام والترتيب هي من صفات البنات وهكذا فهذه الاتجاهات المنقطة جنسيا قد تنتقل من جيل إلى آخر بشيء من التغييري في المحتوى لقد قام طلاب احد الجامعات بدراسة حول مفهوم (الولد والبنت) من حيث شمولها ببعض الصفات، فظهر ان الاولاد يوصفون بأنهم أكثر حظا من البنات من حيث التمتع بالصفات الاتية القسوة، القوة، الاهمية الايجابية، وهذا يبين ان طلاب الجامعة وهو اباء المستقبل يتوقعون من الولد توقعات محددة . تختلف عن توقعاتهم من البنت ولهذا فمن المحتمل ان طلاب الجامعة التي اجريت عليهم الدراسة وبعد أن يصبحوا اباء سوف يقومون بإثابة ومعاقبة اطفالهم بحسب توقعاتهم التي كشفوا عنها في الدراسة حيث انهم سيتقبلون العدوان بدرجة أكبر من ابنائهم عن بناتهم، وسيتوقعون كذلك ان شلوك أولادهم سيتم بالاستقلال والاعتماد على النفس، ويزداد تفضيل اوجه النشاط التي تناسب جنس الفرد خلال سنوات ما قبل المدرسة . حيث ان اطفال الرابعة يظهرون قدرا أكبر من التفضيل لأوجه النشاط التي تتناسب مع جنسهم مما يفعل الاطفال في سن الثالثة، ولتعلم انواع السلوك المتفقة مع الدور الجنسي للفرد ونتائجه المتوقعة في مرحلة الرشد، فالأولاد يتوقع منهم أن يكونوا اشجع واقوى واقل انفعالية من

البنات، ولهذا فليس من المستغرب أن نجد مفهوم الذات عند الراشدين من الرجال والنساء متفقا مع هذا التعلم المبكر فقد قدمت إلى مجموعة كبيرة من الشباب قائمة من الصفات وطلب اليهم ان يتخيروا منها الصفات التي يرون انها اقل الصفات انطباقا عليهم فبين أن البنات كن بالمقارنة الى الاولاد يشعرن بأنهن أقل كفاءة وأكثر اهمالاً واكثر خوفا واقل نضجاً، والحقيقة ان اتجاهات الراشدين نحو أنفسهم هذه تعود إلى حد ما الى ما يغرس في الولد والبنت في فترة ما قبل المدرسة من اتجاهات وخصائص تتناسب مع الجنس الذي ينتمون اليه والى عملية التنميط الجنسي التي اكتسب عن طريقها تلك الانواع من السلوك وذلك عن طريق الخوف من العقاب أو النبذ بسبب السلوك غير المناسب وكذلك عن طريق التوحد أو التقمص للاب مثلا أو مع . بديل الاب او مع ذات مثالية متخلية وهذا ينطبق على الام ايضاً، أو عن طريق الرغبة في المدح والتقبل من جانب الابوين والاقران ورضاهم عن انواع السلوك المنمط جنسيا.

ان الطفل سينتقل من بيئته الأولى وهي الاسرة التي اكتسب فيها انواع مختلفة من السلوك عن طريق التنشئة الاجتماعية الى بيئة أو بيئات أخرى ثانوية تختلف فيها علاقات الطفل عن تلك العلاقات التي كونها في بيئته الأولى ومن بين هذه البيئات المدرسة والنوادي والجمعيات ...الخ.

دور المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية:

لقد اصبح للمدرسة دور في انتقال الثقافة واستمرارها، فللمدرسة تأثير كبير على سلوك الطفل من خلال تفاعله مع الاقران والاشياء وتحديد مواقفه ازاء مختلف المعايير الاجتماعية، فعن طريق توسيع دائرته مع الآخرين سيستطيع أن يعد نفسه المختلف الادوار التي يجب ان يضطلع بها البالغ في مجتمعنا، تقوم المدرسة بدور كبير في مساعدة الاطفال على تعلم ضبط انفعالاتهم والتعامل مع مراكز السلطة وادراك وجود هيئات ذات سلطة في المجموعات الاجتماعية . فمسؤولية المدرسة هي اعداد اطفال قادرين على التعامل مع المجتمع حاضرا ومستقبلا. ومن واجب المدرسة في المرحلة الابتدائية أن تتجنب الشدة والقسوة في معاملة التلاميذ وان تأخذهم بالرفق واللين وذلك لجعل حياتهم المدرسية مليئة بالنشاط والسعادة ليقبلوا عليها برغبة، وعلى المدرسة أن تتبع مناهج دراسية خاصة وطرق تدريس متطورة وتحديد عدد الحصص مع مدتها في اليوم الواحد وفي هذا اختلاف بين المراحل فالمرحلة الأولى من المدرسة الابتدائية تشمل السنوات الدراسية الاربعة والمرحلة الثانية تشمل السنتين الخامسة والسادسة.

وعلى المدرسة مراعاة ميول التلاميذ في التدريس وتأكيد ذاتهم، وان تعتني بالتربية البدنية والتفكير المنطقي والتربية الخلقية وذلك بالقدوة الحسنة وتلقي التلاميذ مبادئ الاخلاق وبطريقة قصصية مشوقة وتشجيع التلاميذ على الانضمام الى الجماعات المدرسية المختلفة وذلك سيعودهم النظام والتعاون والتعاطف والثقة بالنفس والصبر واحترام شعور الاخرين ومحبتهم. اضافة الى ذلك على المدرسة أن تقدم الرعاية النفسية لكل طفل ومساعدته في حل مشكلاته ليكون متوافقا نفسيا واجتماعيا - مع المدرسة وان تراعي قدراته في كل ما يتعلق بالتربية والتعليم أي مراعاة كل ما من شأنه ضمان نمو الطفل نموا نفسيا واجتماعيا سليما وعلاقاته الاجتماعية بين المدرس والتلاميذ من جهة وبين التلاميذ أنفسهم من جهة أخرى أثر في عملية التنشئة الاجتماعية. فيجب ان تكون العلاقات مبنية على اساس من الديمقراطية والتوجيه والارشاد السليم مما يؤي الى تماسك الجماعة

وحسين العلاقات بين افرادها مما يؤدي الى النمو التربوي والنفسي السوي للتلاميذ . وهذه العلاقات يجب أن تكون مبنية على أساس من التعاون والتفاهم كما يجب ملاحظة سلوك التلميذ في عملية التنشئة الاجتماعية اذ يقوم بدور نشط وفعال فهو يلاحظ السلوك.

ان المدرس يقوم بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية بصفته منفذا للسياسة التربوية في المجتمع يقدم ما يحدده المجتمع بأمانة وموضوعية وهو نموذج للسلوك يحتذى به التلاميذ ويتقمص شخصيته وهو مثل للقيم والتربوية اضافة الى انه ناقل للعلم والمعرفة الى تلاميذه بم يتضح مما سبق مدى اهمية الدور الذي تؤديه المدرسة الابتدائية في التنشئة الاجتماعية للتلاميذ لتهيئة مواطنين صالحين قادرين على التفاعل مع المواقف الحياتية مستقبلا . ومن هنا تبدو أهمية الخدمة الاجتماعية المدرسية في رعاية النحو المتكامل للطفل اي نموه الاجتماعي والانفعالي والفكري والبدني بما يتفق وخصائصه في هذه المرحلة فتعمل مع التلميذ كفرد تقدم له المساعدة التي تعنيه على التكيف السليم وتنمية الوعي الوطني والقومي والانتماء الى الجماعة كما ان الهيئة التدريسية تعمل على دراسة الظواهر المدرسية عامة للوقوف على الايجابيات والسلبيات وتبصير التلاميذ والاباء بالمشكلات والصعوبات التي يتعرض لها التلميذ في هذه المرحلة لكي يتحقق الاتفاق على طريق واحد المعاملة التلميذ وتوفير احتياجاته في كل من المدرسة والبيت والمجتمع.

ثم ينتقل الطفل الى مرحلة أخرى وهي مرحلة المراهقة ويأتي دور الاسرة والمدرسة ازاء هذه المرحلة التي يحاول فيها المراهق تأكيد ذاته ومحاولته الاستقلال عن والديه فيسعى إلى تكوين الصداقات في الخارج مع من هم في سنه . ويمر المراهق في هذه المرحلة بتزايد سريع ومفاجئ في كافة جوانب نموه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي وقد تنشأ بعض المشكلات بينه وبين افراد مدرسته واسرته نتيجة لذلك . ففي هذه الفترة تتوسع مداركه ويفهم بيئته بصورة تختلف تماما عما كان عليه في الطفولة . فنجده يسعى الى اختيار المهنة التي سيمتهنها في مستقبل حياته والابتداء بالاستعداد لها . ثم التواصل الى علاقات ايجابية مع الجنس الآخر من خلال البحث عن حلول للمشكلة العاطفية كما يسعى الى تحقيق تكامل لشخصيته تمهيدا لتحمل المسؤوليات الاجتماعية الجديدة. وعلى الاسرة ان تساعده في تحقيق اهدافه ولا يتم ذلك الا يفهم الآباء لمميزات المرحلة التي يمر بها ابنائهم ومتطلباتهم والا نجم عن ذلك سوء فهم لها مما يسبب المتاعب والمشكلات للطرفين ويؤدي الى خروج المراهق من هذه الفترة بشخصية مرتبكة غير مستقرة.

ان المراهقة هي المرحلة الاخيرة من حياة الفرد التي يمكن فيها الاعتماد على الآخرين وهي المرحلة الاخيرة من مراحل النمو التي تستطيع فيها قوى البيئة أن تساعد الفرد على حل مشكلاته وعلى تكيفه معها متمثلا ذلك في الاسرة والمدرسة والمجتمع التي تساعدهم كثيرا على تطوير شخصياتهم بصورة بناءة وسليمة ان المراهق يتبنى نفس الموقف تجاه العالم الخارجي لأنه قد اختزن في ذاكرته منذ طفولته انماطا من القيم والسلوك لذا فانه سيستعمل نفس تلك القيم اتجاه والديه ومدرسية خلال فترة المراهقة . وقد يكره الطفل هذه القيم والانماط السلوكية ويفضل عليها فيما وانماطا أخرى. ولكن هذا لا يتم الا بعد صراع خفيف او شديد، وان مقدار الصراع يتوقف على مقدار قبوله لقيم عائلته ومدرسته وشعوره بصحتها حتى ولو كان وقد خالفها، ونجد بعضهم يشعر بالأثم والخوف اذا لم يستطيعوا قبول مقاييس الراشدين المحيطين بهم. في حين يبدوا اخرون قادرين على التخلص منها دون اضطراب كبير، من هذا يتبين لنا أهمية الاسرة والمدرسة في المرحلة الأولى وهي مرحلة الطفولة لآنها مستعدة الى المرحلة اللاحقة وهي المراهقة فاذا كانت

التنشئة الاجتماعية سليمة في الطفولة حصلنا على مراهقين اصحاء جسميا ونفسيا واجتماعيا وعلى الاسرة ان تنبه ... المراهق الى تلك الفترة قبل الوصول اليها لكي يستطيعوا فهم العوامل التي تقف وراءها وعليهم ارشادهم بأسلوب صحيح وفي الوقت المناسب ثم ان المراهق يطلب من المنزل خلفية عالية متمثلة بالعلاقات الجيدة بين الأبوين ومعهم ليوفر للمراهق ملجأ امينا شاعرا بالثقة والاطمئنان في حياته وليكون نظرة واقعية للحياة ودون ان يكون نظرة عدائية للمجتمع.

كما نلاحظ ان اتجاهات المراهقين وقيمهم تختلف باختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية التي يعيشون في اطرها، وذلك لان الجماعات المختلفة في مستوياتها الثقافية والاجتماعية الاقتصادية تتفاوت فيما بينها من حيث تأكيدها وتدعيمها البعض الاستجابات او من حيث ما تمارسه من انواع السلوك، فالعائلة المثقفة لها معايير واضحة الاختلاف عن معايير العائلة الجاهلة، وكذلك بالنسبة للعائلة ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض. فأنها قد تمارس بعض انماط السلوك الذي لا ترضى العائلة ذات المستوى الاجتماعي - الاقتصادي العالي، علما بان مجتمعنا في الوقت الحاضر يسير بخطى سريعة للتخلص من هذه الفروق، وذلك برفع مستوى العائلة العراقية ثقافيا عن طريق محو الامية وتسهيل الاتصال بمصادر الثقافة ومنابع المعرفة وكذلك برفع المستويات الاقتصادية المنخفضة وجعل كافة ابناء الشعب يعيشون بمستويات جديدة تلائم طموح الثورة في تحقيق الرفاهية والعدالة الاجتماعية.

ان طريقة المعاملة التي يتعرض لها من قبل ابائه لها أثر كبير في تكوين -اتجاهاته وقيمه، فاذا تعرض للوم الكبار من افراد عائلته ازاء ما يصدر عنه من سلوك . قد يحمله ذلك الى الانطواء وعلى تفضيل العمل الفردي على العمل الجماعي -التعاوني، وبالعكس قد يتكون لديه اتجاه ايجابي بحمله على حب الحياة الاجتماعية اذا تحقق له الحصول على بعض الرغبات والمسرات.

ثم يأتي دور المدرسة المكمل والمقوم لدور الاسرة فتستطيع المدرسة الثانوية أن تعمل الشي الكثير لتساعد المراهقين على تطوير شخصياتهم بصورة بناءة وسليمة عن طريق التوصل الى ميولهم ورغباتهم وتوجيهها الوجهة الاجتماعية لغرس الانماط السلوكية البناءة وذلك عن طريق اشراكهم في أوجه النشاط المدرسي المختلفة بخاصة -الالعاب الرياضية والجمعيات والرحلات لتحقيق اندماجه في الجماعة ولتحديد دوره، فيها وأكتابه الخبرات عن طريق المواقف الاجتماعية المتعددة وان تقف المدرسة الثانوية على مشكلات المراهقين الناتجة من التغييرات الحاصلة بهم في جوانب نموهم، المختلفة والعمل على مساعدتها في ايجاد الحلول لتلك المشكلات.

وعلى المدرسة ان تصحح ماضي الاسرة من هفوات عن طريق علاقتها المبنية على اس علمية مع الاسرة وفي الوقت نفسه على المدرسة ان لا تهمل النظرة الى حياته المستقبلية في المجتمع من استعدادات متنوعة لتحمل مسؤولياته الاجتماعية ولا يتم -ذلك الا بعد معرفة المراهق وخصائص نموه والعمل على اشباع حاجاته النفسية الاساسية من شعور بالأمن والعطف والتقدير الاجتماعي والاعتزاز بالنجاح، ولا ننسى ان للمراهق مشكلات وفي مجالات متعددة. فهناك من المشكلات ما يشعر بها المراهق نفسه وهناك مشكلات تعاني منها ادارة المدرسة ومدرسيها فالمشكلات الفردية تتعلق بالتغيرات الجسمية والصحية الحاصلة وما يترتب عليها من اضطرابات انفعالية واجتماعية تنعكس بشكل واضح ومؤثر في علاقاته الاجتماعية مع رفاقه ومدرسيه، اما المشكلات التي تظهر للإدارة والمدرسين فهي الغياب عن المدرسة والهروب منها والتأخر

الدراسي ومظاهر العدوان لديهم والانطواء على النفس وعدم الثقة بها واخيرا قد يتعرض المراهق لرفاق السوء مع عوامل بيئية أخرى لتجعل منه جانحا.

وفيما يأتي بعض مسؤوليات المدرسة الثانوية في عملية التنشئة الاجتماعية:

1. تقديم الرعاية النفسية ومساعدة المراهق في حل مشكلاته لتهي راشدا مستقلا ومتواضعا نفسيا واجتماعيا.
2. تعليمه كيف يحقق اهدافه بطريقة ملائمة تتفق مع المعايير الاجتماعية.
3. مراعاة قدراته واستعداداته في مختلف الجوانب.
4. لاهتمام بالتوجيه والارشاد النفسي والتربوي والمهني له.
5. العلاقة بين المدرس والطالب يجب أن تقوم على أساس من الديمقراطية مما يؤدي الى حسن العلاقة وبالتالي الى النمو التربوي والنفسي السوي للطالب، حيث أن لهذه العلاقة اثر عميق في شخصية الناشئ الصغير: فالمدرس ليس اداة لتلقين الطالب المعرفة فحسب انما يمثل جانبا انفعاليا واجتماعيا هاما في حياته فالطالب في حاجة الى حب المعلم وتقديره والاعتراف بشخصيته، وكلما تحقق للمدرس اسباب الأمن والطمأنينة الشخصية كان قدوة طيبة لتلاميذه.
6. يجب ان تكون العلاقة بين البيت والمدرسة مبنية على اسس علمية بناءة. ولا بد من قيام مجلس الاباء والمعلمين على اسس سليمة يشارك فيها عدد كبير من الاباء يمثلون كمثيلا فعليا على كافة المستويات. بالإضافة الى المقابلات الفردية مع الآباء الذين تتطلب حالتهم استدعاء أولياء امورهم والتباحث معهم او قيام الباحث الاجتماعي (ان وجد) بالزيارة البيئية للفرض نفسه . ولهذا بعد النظام مجلس الاباء اداة انشائية في المجال المدرسي باعتبار أنهم أكثر تعرضا لاحتياجات البيئة بوجه عام ووسيلة ايجابية لربط المدرسة بالمجتمع المحلي.
7. لا بد من وجود الباحث الاجتماعي أو المرشد التربوي في المدارس الابتدائية والثانوية على حد سواء حيث سيتولون مهمة التنشئة الاجتماعية السليمة مع الحفاظ على التلاميذ ووقايتهم من المشكلات والانحرافات ومساعدتهم في حل مشكلاتهم والتنفيس عمل يعانون من صراعات نفسية ودوافع عدائية . وذلك بالبرامج الجماعية واستخدام اوقات الفراغ مع الدراسات الميدانية الفردية لمن يحتاجها وبذلك تساعد المدرسة في عملها وتسهل عليها القيام بواجباتها لان مهمة المدرسة اليوم لم تعد مهمة تلقين معلومات انما اصبحت مهمة تربوية جانب المهمة التعليمية.
8. دعم القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع مع الحث على الالتزام بها وتمثلها السلوك اليومي بالممارسة متمثلا في مناهج الدراسة والنشاطات المتعددة.
9. نشر الوعي القومي بين الطلبة، وتعريفهم بمعالم الوطن العربي وتاريخ وكفاحه من اجل التحرر، وامكاناته من اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

١٠.تبصير الطلاب في هذه المرحلة بما فيها من تغييرات لتساعدهم على استعادة توافقهم واستقرارهم نفسيا مما يحول بينهم وبين ما يعانون من قلق وخون وصراعاة اخرى.

من هذا يتضح أن للمدرسة دوراً كبيراً في تهيئة فرص النمو للطالب وفي مختلف النواحي الدراسية والعملية والاجتماعية وتوفر وسائل الكشف في ميولهم و استعداداتهم والعمل على تنميتها. لجعله قادراً على تحمل مسؤولياته في الانتاج، ولينمو نمواً متكاملاً في النواحي القومية والاجتماعية والفكرية والبدنية بما يقابل اهدافنا القومية.

دور جماعة الرفاق:

كما اتضح أن لاتجاهات الوالدين والجو العام في الاسرة اثر على نمو السلوك الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية وأن الخصائص الاساسية لما يقوم به طفل ما قبل المدرسة من اتصالات بغيره من الاطفال تكون الى حد كبير بمثابة انعكاسات لما تعلمه في بيته، وهو يكون قد تعلم في منزله بعض الاساليب الاجتماعية الاساسية المستخدمة في الارتباط بالأشخاص الآخرين في المواقف الجمعية ولكن هذا لا يعني ان ما يكتسبه الطفل في المنزل يظل ثابتاً لا يتغير وبازدياد توجه الاطفال نحو الحياة الاجتماعية يزداد ميلهم الى الارتباط الوثيق بعدد قليل من الرفاق . وقد بينت الدراسات ان اطفال ما قبل المدرسة يتعلمون الصداقات مع افراد جنسهم اكثر مما ينشؤنها بين افراد الجنس الآخر، وان التقارب في العمر والحالة الاجتماعية والنشاط البدني تؤثر في الصداقة بين اطفال الجنس الواحد، اما التشابه في طول القامة والانبساطية والجاذبية والذكاء وكثرة الضحك فلم يكن لها تأثير في صداقات البنين والإناث، وقد قام احد الباحثين بتسجيل كل الوقائع التي يلعب فيها اطفال ما قبل المدرسة بعضهم مع بعض أو يتشاجرون فيها وذلك خلال اربعين فترة ملاحظة طول كل منها نصف دقيقة . ثم استخرجت من هذه البيانات مقاييس الصداقة والميل الى التشاجر ونسبة التشاجر إلى الصداقة واوضحت البيانات بأن انماط الصداقة تتغير بتقدم العمر وان كل هناك فيما بين من الثانية والثالثة ازدياد عام في عند رفاق . اللعب للطفل وأن ما يحدث بعد هذه السن هو أن تزداد قوة الصداقة بينه وبين قلة خاصة من الاطفال بدلاً من الازدياد في عدد الاصدقاء. وهذا التغيير في انماط الشخصية يمكن ان يعد بمثابة نتيجة لما تعلمه الطفل في هذه المواقف الاجتماعية الجديدة . وذلك لان الطفل قد يتفاعل خلال خبراته الاولى خارج الأسرة مع عدد كبير متنوع من الاطفال . كما ان بعض هذه العلاقات المبكرة لا تجلب الثواب للطفل وانما تجلب له شيئاً من العقاب . ثم يتعلم بمرور الزمن أن العلاقات بينه وبين بعض المعنيين اقرب الى ان تكون أكثر متعة مما عناها ولذلك فهو ينشئ ارتباطا أكثر قوة بينه وبين هؤلاء الاطفال . كما أن نسبة التشاجر تتناقص تناقضا منتظماً بتقدم العمر مما يبين ان تزايد الخبرة الاجتماعية يكشف للأطفال عن ان الاستجابات الودية تكون اكثر ارتباطا بالثواب من الاستجابات العدائية.

وعند التحاق الطفل في المدرسة نجده يهتم بقبول جماعة الرفاق له وقد يواجه بقليل من الحذر في محاولاته الأولى، كما ان الموقف الاجتماعي الجديد يعرضه للثواب والعقاب كما ان يعتمد على المحاولة والخطأ . ان الصداقات في مرحلة الطفولة المتوسطة عرضة للتغيير والتبدل السريع وتؤدي عوامل الميل الخاص الى تحديد العضوية في الساعة.

اما ما بين السن العاشرة والرابعة عشر لتكون الصداقات أكثر تحديداً في بنيتها ووضوحا في تكوينها مع أن التغيير مستمر، وان جماعة الاصدقاء تهيء الفرصة للطفل لتحقيق الكثير من

حاجاته واشباعها كنشاطه وحركته ونموه اللغوي والعقلي والاجتماعي، فتلك الجماعة تخدم وتحقق هدفا اكثر شمولاً في تطبيع الطفل وتنشئته الاجتماعية. فمن الوظائف الاساسية جماعة الاصدقاء هو تغيير اتجاهات الطفل النفسية. فقد تقوى جماعة الرفاق اتجاهات موجودة لديه أو تنشأ لديه اتجاهات جديدة او تضعف تلك الاتجاهات التي تتعارض مع قيمها، وعندما تصطدم قيم جماعة الرفاق مع ما يوجد لدى الطفل من اتجاهات . فأن قابلية تغييرها تعتمد على الاهمية النسبية لتقبل تلك الجماعة له.

اما في مرحلة المراهقة فنرى المراهق يختار اصدقاء بنفسه دون تدخل من والديا يمكن الطفل . وتقوى صداقة المراهق بأحد زملائه ولكن مع هذا نجد الصداقة انفعالية وسريعة التغيير خاصة في المرحلة الأولى من هذه الفترة وتزداد حاجة المراهق الى تكوين علاقات قوية مع من في سنه وذلك لاعتقاده أن الكبار لا يفهموه . وتلعب صفات الشخصية دوراً كبيراً في تكوين الصداقات كدماثة الخلق والشجاعة والاخلاص وحسن المظهر والتعاون ...الخ.

الفصل الخامس

الباثولوجيا الاجتماعية

جنوح الاحداث

الامراض النفسية والعصبية والذهان

الاتجاهات

الاتجاهات الحديثة في معاملة الاحداث

القلق

الإحباط

الباثولوجيا الاجتماعية:

يتعرض بعض الأبناء إلى نوع من المشكلات تبدو أعراضها على شكل سلوك مضاد للمجتمع بما في ذلك السلوك الخارج على القانون، ومن أهم مظاهر هذه الانحرافات جرائم الاحداث كالسرقة والنشل والسلوك الجنسي المنحرف والتزييف وتعاطي المخدرات ...الخ، وبجانب ذلك هناك انحرافات اقل خطورة كالهروب من المنزل والمدرسة والتشرد والتسول والتخريب والتمرد والكتب، ويطلق على مظاهر الانحرافات السابقة بنوعيها الاصطلاح، جناح الأحداث وقد نالت هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً من المهتمين بالدراسات الاجتماعية والنفسية وذلك لان الاحداث ثروة بشرية يجب العناية بها ورعايتهم وتهيئة بيئة صالحة لكي ينمو نمواً سليماً متكيفاً مع البيئة التي يعيشون فيها لنا كان الاهتمام بمرحلة الطفولة ودراسة المشكلات التي تعترض نمو الاطفال والعمل على حلها على اعتبار انها الاساس في تكوين شخصية الانسان، فكل مشكلة تعترض نمو الطفل تتبلور وتظهر على شكل امراض نفسية وانحرافات في مرحلة المراهقة هذا اذا لم يوجد لها العلاج، فالأمراض الاجتماعية تعد سلوكا سالباً غير بناء وهداماً وتعد أيضا مشكلة اجتماعية تهدد أمن الفرد والجماعة.

جنوح الاحداث:

مشكلة من المشكلات الهامة التي تواجهها جميع المجتمعات والتي تحتاج الى عناية مكثفة لمعالجتها الأن الأحداث الجانحين كالأغصان اللينة المعوجة يسهل تقويمهم واصلاحهم في حين يصعب اصلاحهم بعد تجاوزهم مرحلة الحداثة.

ان هذه الظاهرة الاجتماعية تعد نافية لروح الجماعة أي لا توافق معايير المجتمع لذلك اهتم بها كثير من المختصين لاكتشاف الاسباب والعوامل المؤدية اليها فذهب بعضهم الى انها ترجع الى عوامل وراثية بينما ذهب آخرون إلى أن سببها عوامل نفسية واكد علماء الاجتماع على العوامل الاجتماعية. وقبل دراسة تلك العوامل سنعرف الحدث وطبيعة الجنوح للأمام بهذه الظاهرة الخطيرة.

الحدث:

اختلف علماء النفس والاجتماع والقانون لتعريف الحدث فعرفه عالم النفس والاجتماع بأنه « الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد . . وعرفه القانون بأنه صغير السن الذي اتم السن التي حددها القانون للتمييز ولم يتجاوز السن التي حددها لبلوغ الرشد، علماً بأن هناك اختلافاً بين المجتمعات المختلفة في تحديد من الحدث. أما في العراق فحدده المشرع في المادة الأولى من قانون الأحداث رقم ٦٤ لسنة ١٩٧٢ بأنه « من اتم السابعة من عمره ولم يتم الثامنة عشر ذكر أم أنثى وعلى صنفين:

الأول الصبي: من اتم السابعة من عمره ولم يتم الخامسة عشرة.

الثاني الفتى: من اتم الخامسة عشرة من عمرهم ولم يتم الثامنة عشرة.

ولا بد من اعطاء فكرة واضحة عن تطور اتجاهات الحدث لأنها عامل فعال في تطور شخصيته وتكاملها.

اتجاهات الحدث:

1) التسلط على الدوافع وتوجيهها من قبل الحدث نفسه والا يكون هذا التسلط سيطرة مفروضة بقوة خارجة بل تأديباً لهذه الدوافع وتهذيباً لها أنيا من تلقائية وطواعية من باطن ذاته وبذلك تنطلق طاقاته النفسية من مجال نفسه وتركيزه الذاتي الى المجال الفسيح للنمو والامتداد.
2) التكيف الاجتماعي: ان اشتداد الميول الاجتماعية في المراهقة ينبغي الا تؤدي الى ارضائها لمجرد كونها دوافع أصلية بغض النظر عن قيمتها الاخلاقية فعلى الحدث الموازنة بين هذه الدوافع والتصرف بمستوى العرف والتقاليد (الرأي العام)، فالرأي العام هو التحكم في السجايا والتصرفات . ويجب ان ينصرف التكيف الاجتماعي الى التخلص من التركيز الذاتي والتعاون مع الآخرين والاندماج بهم وتأكيد الاتجاه نحو الأيثار لأنه اساس للتطور الخلقي الرفيع.
3) التكيف المهني: يواجه المراهق عادة مهمة النظر الى مصيره في الحياة المقبلة والعمل الذي ينبغي ان يضطلع به ليكون شخصاً نافعاً لنفسه ولمجتمعه ويؤكد . أدلر ، وظائف ثلاث رئيسية ويجعلها اساساً لأساليب الحياة الاساسية التي ينبغي أن يتكيف لها الطفل منذ سنواته الأولى وهي:
أ- التوفيق بين ميوله ورغباته من ناحية وبين قدراته وامكاناته من ناحية ثانية.
ب- ان ينشأ على تقدير العمل وجعله منتجاً مثمراً.
ت- التوفيق بين مطالبه الفردية ومطالب المجتمع ولا بد ان يأتي تحديد هذه الوجهة في المهنة تدريجيا ويكون مرناً قابلاً للتحوير والتعديل وقائما على التجارب الواقعية وان ينزع المراهق فيه الى التعاون مع الآخرين والعمل المشترك.

4) النزعة الى الاستقلال: تتجلى هذه النزعة لدى المراهقين في تأكيد الذات في صور متعددة وفي محاولتهم الأقل من تأثير سلطة الوالدين على اعمالهم والانتقال إلى التماس التأثير في الاقران او غيرهم من الكبار ممن يختارهم المراهق لهذه المنزلة . بصورة مقصودة أو غير مقصودة ومتابعة لهذه النزعة يقوم المراهق بتوسيع نطاق اتصالاته بالعالم الخارجي ويتجاوز في ذلك نطاق الأسرة ونطاق المدرسة مما كان مألوف لديه في الطفولة كما تتجلى هذه النزعة في قيام المراهقين بأعمال يجربون فيها قواهم ومدى ما يستطيعون فعله فيها وقد يندفعون في ذلك الى مواقف متطرفة متناقضة فيقومون مثلاً بالعمل المرهق الفادح أو بالمغامرة المحفوفة بالخطر احياناً ويركنون الكسل والبطالة وطلب السلامة في احيان اخرى وانما يندفعون الى كل من هذين النقيضين شعورياً أو لا شعورياً بقصد رغبتهم في الكشف. استطاعتهم ومدى قوة ارادتهم في ممارسة ما يختارون من اعمال . عن مدى ومن المهم الا تؤدي هذه النزعة الاستقلالية الى التصادم بين جيل الناشيء وجيل الكبار سواء في محيط الأسرة أو خارجها.
5) الواقعية : من المهمات الخطيرة التي يواجهها المراهقون هو انتقالهم من الاعتماد على مبدأ اللذة الذي تصطبغ به حياة الطفولة الى الاعتماد على مبدأ الواقع وسعيهم الى الملائمة

بين دوافعهم ورغباتهم وبين العالم الواقعي المحيط بهم على طريقة فرويد ، في التعبير وهذه النزعة الى الواقع يساندها النمو العقلي للمراهق مما يعينه في تحليل المواقف التي

تواجهه وجن تقديرها وفهمها كما يسندها شدة الميول ويقظة الحياة الوجدانية التي تدفع بالمراهق إلى توسيع اتصالاته بالعالم الخارجي، ونجاح المراهق في التسلط على دوافعه وتوجيهها وفي التكيف الاجتماعي والمهني يعتمد على قدرته في فهم المؤثرات الخارجية المحيطية به سواءاً كانت مادية أم اجتماعية أم فكرية.

6) تكامل الشخصية: ان الهدف الذي ينبغي أن يتجه نحوه التطور السليم انما هو تكامل الشخصية وهو هدف ينبغي أن يصل المراهق الى نصيب منه وان كان من العسير الوصول الى اتمامه، ومن المهم خاصة ان يبلغ المراهق قسطاً من التوازن بين جوانب النمو المختلفة الجسمية والفكرية والاجتماعية فان التفاوت فيها قد يسبب مصاعب كثيرة في سبيل التطور.

ومن المهم ايضا في مرحلة المراهقة انتظام الدوافع والانفعالات في منظومات تصاعدية تنسجم بعضها مع بعض وتتسلط عليها رعاية الذات، وان يبلغ المراهق في هذه الفترة ما يجعله يتجاوز مستوى العرف والتقاليد في احكامه . وتصرفاته الخلقية الى مستوى يظهر فيه شيء من الابتكار والابداع.

ويحدد (البورت) المقاييس الثلاثة الآتية للشخصية وتكاملها:

1. ان يملك الشخص ذخيرة واسعة في الميول تجعل بأمكانه ان ينغمر في مطالبها بصورة ذاتية وهو مسترسل على سجيته من غير كلفة أو عناء فينغمر في العمل وفي الدراسة والتأمل وفي الولاء للآخرين وللمجتمع وبذلك يتخلص من التركيز الذاتي.
2. ان يصل الى النظر الى ذاته نظرة موضوعية ويعرف منزلتها الحقيقية بالنسبة للآخرين فلا يغلو في تقديرها ولا يغلو في الاستهانة بها وهذه هي البصيرة التي تجعل المرء ينظر إلى نفسه كما يراها الآخرون على حقيقتها.
3. أن تكون له وجهة عامة في الحياة يمكن ان تسمى فلسفة حياة تحدد الاحداث المنحرفون هم فئة من الافراد لا يختلفون عن غيرهم من أفراد المجتمع الذين يخالفون القوانين السلوكية ومن الناحية القانونية يصطلح عليه بأنه ضار اجتماعياً ويختلف من مجتمع الى آخر حسب القيم الاجتماعية والاخلاقية والآراء والمبادئ.

مفهوم الجنوح

لفظة الجنوح تعني الاثم. وهو كل فعل يعاقب عليه القانون الجنائي . يتمثل في مظاهر السلوك المنحرفة عن النموذج المتوسط الذي يمثل النموذج السليم . وهي افعال لو صدرت عن الكبار لعوقبوا عليها كجرائم، والنموذج المتوسط يمثل حسب تفسير صورة لحدث متكامل نموه النفسي والجسدي (دوركايم) والعقلي بحيث يستطيع التكيف مع جماعته الأسرية والمدرسية والمهنية ، وجماعات اللعب وغيرها، في حدود القوالب الاجتماعية والأساسية في علاقاته مع الآخرين من جهة، وفي تصرفاته الذاتية من جهة اخرى ولهذا فأن مضمون الانحراف يمكن ان يتسع ليشمل انماطاً تبتعد بدرجات متفاوتة عن النموذج الوسطي هذا هو التفسير الاجتماعي . اما من حيث المفهوم النفسي فأن الحدث المنحرف أو الجانح هو طفل يعاني اضطرابا وصراعات نفسية يفصح عنها بأشكال من السلوك المنحرف وبأسلوب يؤذي نفسه او غيره، وهو بذلك لا يختلف عن المريض نفسياً، ويمثل الانحراف عادة محاولة من جانب الطفل لحل مشكلة خطيرة أو بعيدة الأثر في نفسه.

وبعبارة اخرى فان علماء النفس ينظرون الى شخصية الحدث المنحرف ، وليس الى الفعل نفسه ، ولذلك فهم يفرقون بين المنحرفين المرضى والمنحرفين الاسوياء، على اعتبار ان الانحراف في الحالة الاخيرة يرجع الى المجتمع وظروفه وليس الى الفرد نفسه، علماً بأن هناك اختلافا بين المجتمعات المختلفة في تحديد من الحدث . وفي العراق حدده المشرع في المادة الثالثة من قانون رعاية الاحداث رقم ٧٦ . لسنة ١٩٨٣ كما يأتي :-

1. يعد صغيراً من لم يتم التاسعة من عمره.
2. يعد حدثاً من اتم التاسعة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة.
3. يعد الحدث صبيا اذا اتم التاسعة من عمره ولم يتم الخامسة عشرة.
4. يعد الحدث فتى اذا اتم الخامسة عشرة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة.
5. يعد ولياً الاب والام او اي شخص ضم اليه صغير او حدث أو عهد اليه بتربية احدهما بقرار من المحكمة.

صور جناح الاحداث:

صور الجنح عديدة ومتنوعة، وعقوبات القانون تختلف باختلاف نوع الجريمة.

وفيما يأتي تعدد كل ما يمكن ان يدخل تحت الادانة بالجنوح في مختلف اقطار العالم بغض النظر عن التصنيف القانوني التقليدي للجرائم الى مخالفة أو جنح او اجرام او الى مواد وفقرات جزائية وهي:

1) جرائم السرقات عامة:

أ- السرقة حسب اماكن وقوعها (المساكن ،المحلات التجارية، السطوة على المحلات الأخرى ... الخ).

ب- السرقة حسب ظروفها (بالإكراه والعنف بالسلاح او بدونه).

ت- الاختلاس (سرقة أموال لحيازتهم. أي في دورهم أو المحل الذي يعملون فيه).

ث- الحيازة (اخذ أموال او مواد تعود للغير).

2) الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة:

أ- سوء السلوك.

ب- افساد الأخلاق، كممارسة القمار وخدمة من يقوم بذلك .

ت- النصب والاحتيال والرشوة.

ث- الهرب من المدرسة.

ج- القذف والسب.

ح- والمروق (أي التهرب من سلطة الاب أو الولي او الوصي او مخالطة المشردين).

3) الجرائم الجنسية:

أ- الاغتصاب (هتك العرض بالقوة والإكراه).

ب- هتك العرض المسلوب الأرادة.

ت- المثلية الجنسية (اللواطة).

ث- توزيع الصور الجنسية المخلة بالآداب والحياء.

4) جرائم العنف والقتل:

أ- القتل المتعمد.

ب- القتل الخطأ.

ت- الايذاء الجسمي (العراك).

ث- حمل السلاح دون ترخيص رسمي.

ج- التخريب والشغب.

ح- تعاطي المخدرات أو الأشتراك بتسويقها وبيعها.

خ- الحرق العمد والفرق العمد.

د- التزوير وتقليد الاختام والمعلومات والطوابع وجوازات السفر.

ذ- التشرد (التسول في الطرق العامة) ولا يعدها بعضهم من ضمن السلوك الى الجنوح هو طريق يؤدي الى الجنوح، وفي معظم القوانين العالمية لا يعد التشرد بالأصل جريمة تستوجب العقوبة بل تحتاج الى التدابير الوقائية.

وقد حدد التشرد في المادة ٢٤ من قانون رعاية الاحداث العراقي رقم ١٦ لسنة ١٩٨٣ بما يأتي:

أولا : - يعد الصغير او الحدث مشرداً اذا:

أ- وجد متسولاً في الاماكن العامة أو تصنع الأصابة بجروح أو عاهات أو استعمل الغش وسيلة لكسب عطف الجمهور بقصة التسول.

ب- مارس متجولاً صبغ الاحذية أو بيع السكاير أو أية مهنة أخرى تعرضه للجنوح ، وكان عمره أقل من خمسة عشرة سنة.
ت- لم يكن له محل أقامه معين أو اتخذ الأماكن العامة مأوى له.
ث- لم تكن له وسيلة مشروعة للتعيش وليس له ولي او مرب.
ج- ترك منزل وليه او المكان الذي وضع فيه بدون عذر مشروع.

ثانيا : - يعد الصغير مشرداً اذا مارس اية مهنة او عمل مع غير ذويه:

أ- مخالفات المرور.
ب- الأخبار الكاذب شهادة الزور، اليمين الكاذبة.
ت- انتحال الوظائف بالصفات الشخصية.
ث- الهرب من المدرسة الاصلاحية او دار الملاحظة أو دار رعاية الفتيان .
ج- المخالفات المتعلقة بالأضرار بالصحة العامة أو الراحة العامة أو قتل الحيوانات

فبالنسبة للأحداث فان قانون الأحداث في تلك الدولة يستبدل العقوبات بغيرها . ويتخذ اجراءات قضائية وامنية اخرى تعد منبثقة ومتممة أو نافية لقانون عقوبات البالغين وتتخذ لها قانوناً خاصاً يدعى ، بقانون الأحداث . وقد يدرج بعضها في القانون الجزائي العام.

<u>انماط الأحداث المنحرفين :</u>

يميل بعض العلماء الى تقسيم الأحداث المنحرفين الى انماط يتميز كل نمط بخصائص تفرق بينه وبين النمط الآخر واليك انواعاً من هذا التقسيم:

1) حدث العصابة:

يسمى « جينكنز وهيويت » الحدث من هذا النمط، بالمنحرف المطيع اجتماعياً، وهو النوع السائد بين الاحداث المنحرفين الذي لا يقوم بنشاطه الاضمن جماعة من المنحرفين مثله . وهو في العادة لا يحتمل الوحدة ، وعلى استعداد للقيام بأي عمل من اجل الجماعة التي ينتمي اليها، اذ ان معايير الجماعة عنده اهم من اي معايير أخرى، لذلك كان هذا النوع من أصعب حالات الانحراف لحاجته، الدائمة الى الجماعة المنحرفة التي يصعب عزله منها.

وتتخذ المعايير التالية لتحديد هذا النمط:

أ- الصداقة مع امثاله من المنحرفين.
ب- يتم نشاطه المنحرف او الهرب مع جماعة من امثاله.
ت- يقوم بدور ايجابي في الجماعة المنحرفة.
ث- يقوم بالسرقة مع الجماعة.
ج- يتزين بالزي الذي يطبع المنحرفين ويتكلم بالطريقة التي يتكلمون بها.
ح- يتردد على دور اللهو.

مع ملاحظة أن هذه المعايير مستمدة من الثقافة الغربية وقد لا تنطبق على الحدث المنحرف في ثقافتنا.

2) الاعتدائي اللا اجتماعي:

يقابل المنحرف المطيع اجتماعيا الحدث الذي يسميه (هيويت وجينكنز) الحدث الاعتدائي اللا اجتماعي. والمعايير التي تتخذ لتحديد هذا النمط هي:

أ- العزلة عن الاصدقاء.
ب- القيام بنشاطه منفرداً.
ت- العجز عن الانتماء لأي جماعة.
ث- لا يوجد له اصدقاء حميمون.
ج- يتميز بالخجل والانسحاب.
ح- لا يتصف بصفات القيادة بينهم.
خ- غير محبوب بين اصدقائه .
د- قد لا يبدو للناظرين نشيطاً.

3) المنحرف العرضي:

ويرى (وتنبرج) أن هذا النمط ينحرف ويقبض عليه لارتكابه ما يخالف القانون نتيجة لسوء تقديره للموقف او المشكلات اعترضت طريق نموه السوي. اي ان الحدث يكون عادة بويا في تكوينه النفسي غير أنه لم يقدر خطورة ما قام به ولعله قام بما قام به لأنه رأى كل من حوله يقومون بنفس الفعل ، أو لعله قام به لاعتقاده أن هذا عمل يدل على القوة. وتكون المخالفة التي يرتكبها مثل هذا المنحرف احيانا خطيرة من ناحية نتائجها لا من ناحية القصد فيها.

4) المنحرف العصابي:

ويعد (واتنبرج) أن هناك حالات من الانحراف يكون الانحراف فيها نتيجة الصراع يتم التعبير عنه بسلوك منحرف. والمنحرفون من هذا النوع من ابناء الطبقات الممتازة اجتماعيا, ولا يمكن ان يعزى انحرافهم الى الاسباب الاجتماعية. المعروفة كالفقر والجيرة السيئة ...الخ.

وهنا يمكن القول ان الانحراف انما يعزى لعوامل لاشعورية، ويسوق، واتنبرج . المثلة ثلاثة على ذلك المثل الاول يقوم ولد حسن السمعة والسلوك بسرقة يقبض: عليه فيها فيقترف مما يثير هلع الوالدين . غير ان الولد يحس بالراحة الاعترافه. فهو يسعى للعقوبة لشعوره بالذنب، ويجد الباحث المدقق انه قام بالسرقة مهيئاً الظروف للقبض عليه وكأن العقوبة ترفع عن كاهله عبئا ليعود الى السلوك السوى الذي اشتهر به.

والمثل الثاني للشاب الذي قد يتشكك في رجولته وقدرته الجنسية ، فيسعى الى المغامرات الجنسية ليثبت رجولته او للعراك ليثبت قوته أو ما إلى ذلك والمثل الثالث للتعطش للحب، وحب الكبار للطفل يعني اغداقهم عليه بالهدايا فاذا كان من يهمه حبهم لا يعطونه هذه الهدايا فليكرههم عليها بسرقتها منه.

5) النمط المختلط:

ليس من السهل تصنيف السلوك المنحرف طبقاً لأي نمط لأن الواقع يبين ان قليلاً من الافراد يمكن تحديد نمطهم بينما الغالبية قد ينطبق عليها اكثر من نمط فقد يوجد بين نمط العصابة من يتصف سلوكه بالاعتداء، وقد يكون في هذا النمط المنسحب المنزوي الذي يسعد بوصف زملائه له بأوصاف شتى . لهذا كان التقسيم الى انماط تقسيماً مصطنعاً لا يقصد منه سوى سهولة الدراسة . لان السلوك المنحرف كما سبق ان بينا سلوك معقد تتداخل فيه عدة عوامل وتتفاعل ويصعب عزل هذه العوامل عن بعضها ففي الحالة الواحدة قد تلعب عوامل الذكاء، والتكوين الجسمي والآباء والمدرسة والاصدقاء والجيرة مما يحتم دراسة كل حالة على جدة طبقاً لظروفها، وقد يساعد على هذا الفهم اشتراك اكثر من متخصص واجد لفهم سلوكه. اذ قد يشترك في ذلك الطبيب، والطبيب النفسي، والاخصائي، الاجتماعي ومن اليهم في دراسة الحالة لفهم ذلك السلوك.

الأسباب المؤدية الى جنوح الاحداث

هناك اتجاهات ونظريات متعددة في تفسير ظاهرة الجنوح من اهمها:

1) الاتجاه البيولوجي:

كاد الاتجاه البيولوجي في تفسير الجريمة يختفي من علم الاجرام الحديث لولا ظهور معلومات وحقائق علمية جديدة حول الموضوع. فبعد ظهور الدراسات . والبحوث المتعددة توجه الاهتمام إلى دراسة الجريمة كسلوك بشري يتعلق بالفرد والمجتمع ومن ثم تبلورت بصفة مدارس في علم الجريمة انصفت بالدراسة الجدية للأسنان ولظروفه وبيئته وكانت هناك مدارس اصلاحية سواءا كانت صحيحة ام غير صحيحة علميا آنذاك.

وفيما يلي الجوانب البارزة في بيولوجية الجانح:-

1. التكوين الإجرامي:

كانت نظرية الطبيب وعالم الاجرام (سيزار لومبروزو) من ابرز النظريات البيولوجية لأنها أرجعت الجريمة والانحراف الى سمات وصفات تكوينية في الفرد تهيئه للجنوح . كما ان هذه الميول الإجرامية ليس كامنة في التركيب البيولوجي (الوراثي) فقط بل انها تبدو على سيماء المجرم وتقاظيمه وسحنته وشكل جمجمته وأيد (موريل) نظرية لومبروزو . وكان وجود الوجوديين الأحداث وفي فترة المراجعة على الخصوص أحد الأدلة التي استغلها دعاة النظرية التكوينية والخلقية باعتبار الغرائز قد ظهرت مبكرة في الشخص المجرم . وبذلك سادت فكرة و المجرم بالوراثة ، لحقبة من الزمن والى اوائل القرن العشرين. وهي الفكرة التي تناقض فكرة ، العوامل الخارجية ، والاجتماعية للجنوح . ويذكر (أنجو) مثالاً للتناقض هذا ما ظهر في احدى الدراسات للأحداث الجانحين اذ كانت العوامل الوراثية تشكل ٨٨% والعوامل الخارجية ١٥٪ بينما كانت في دراسة اخرى ٥٠% وفي دراسة ثالثة صفراً.

على أن التقدم العلمي في ميادين الوراثة والطب وعلم النفس والدراسات الاحصائية المتلاحقة سرعان ما دحضت نظرية (لومبروزو) الضيقة وحفزت الأبحاث على ايجاد تفاسير أوسع شمولا واعمق نفاذاً فقد وجد العالم (جورنج) أن السمنة والتقاطيع الاجرامية التي اعتمد عليها لومبروزو في تشخيص المجرم موجودة لدى الطلبة الجامعيين والناس الأبرياء بنفس معدل وجودها بين نزلاء السجون.

وقد درس (جلويك) عام ١٩٩٦ التركيب البنيوي للجانحين ووجد أن الفتى الجانح يميل عادة إلى البنية العضلية الممتلئة (المكتنزة) . كذلك وجد (جيينز) في مجموعات من سجون انكلترا ومدارسها الإصلاحية ان أكثر الجانحين من العضليين ط.

أما محاولات (شيلدون) لإيجاد علاقة بين الجنوح ومقاييس الجسم من طول . وعرض وسمنة فلم تحظ بالنجاح. لكن (شازال) يعتبر أن عدم التنافس بين النمر الجسمي السريع بالنسبة الى النمو العاطفي (او النضج العقلي) هو السبب في التهيئة للجنوح.

2. الوراثة:

وراثة الأجرام نظرية قديمة أحياها لومبروزو كما ذكرنا سابقاً. الا ان المقصود . هنا ليس مجرد التكوين، بل وراثة الصفات (الجينات والكروموسومات (التي تدفع بالمضاب الى الاجرام واستعداده له، ودراسة التوائم هو الميدان الادق لأثبات او دحض ذلك، فقد وجد (لانجيه) Lange توائم جانحين من مجموعة ١٣ توائم متشابه واثنين من مجموع ١٧ توأم متاخي. وايد ذلك بأبحاث اخرى كل من (كراتز) و (روزاتوف) و (هاندي) وكما ان (ايزنك) يذكر ظهور الجنوح بنسبة ٨٥% بين التوأم المتشابهة، وبنسبة ٧٥% بين التوأم المتاخية يدل كل ذلك على ان الجنوح أكثر احتمالا بين التوائم المتشابهة مما هو عليه بين التوائم المتاخية ، ولكنه لا ينفى عامل البيئة (وهي التي تتراوح من ١٥ - ٢٥) . ولا يعني ايضا ان الوراثة تتم بالأسلوب البسيط القوانين (مندل) ولا أن وراثة الصفة الاجرامية تعني بوراثة الاجرام بل - الاستعداد له.

وفي اوائل منتصف القرن العشرين تقدمت دراسة اشكال الكروموسومات في الخلية . وظهرت دراسات حول العلاقة بين أشكال الكروموسومات الغريبة والقوى العقلية والاجرام والجنوح . وكان من جملتها اكتشاف كروموسوم ذكري (1) بالإضافة في مجموعة من المجرمين اللا اجتماعيين (السايكوبائيين) الاعتدائيين طوال القامة، اي ان كروموسوماتهم تكون X بدلا من XY وقد وجهت انتقادات الى هذه الدراسة لأنها مستمدة من المستشفيات العقلية فقط، وان دراسة كروموسومات الاحداث الجانحين لم تظهر وجود مثل هذا الخلل . كما انها تفرق بين المجرم الاعتيادي والبالغ وبين الحدث الجانح الصغير.

الا ان نظرية (أيزنك) في الشخصية الأجرامية أعادت إلى الأذهان مرة اخرى عامل الوراثة والتركيب البيولوجي وقد وجد الدكتور (ميدنيك) ان للجنوح علاقة بالوراثة لأنه وجد كثرة الجنوح بين احداث تبين ان آباءهم الحقيقين كانوا جانحين مجرمين بينما لم يجد علاقة بين جنوح وسلوك أبنائهم الثانويين، وهذا يؤيد وجهة نظر الاستاذ لي (روبين) عام ١٩٦٦ من أن وجود اب مدمن او مجرم له تأثير على سلوك طفله حتى وان لم يطلق الاثنان قط.

3. الامراض العضوية:

كانت بقايا نظرية (لومبروزو) منعكسة على اوائل نشوء علم النفس والطب النفسي والطب النفسي الحديث . وهذه النظرية تربط بين المميزات الجسمية أو الخلقية وخاصة في الوجه والجمجمة وبين انواع من النقص العقلي ، أو الاضطرابات الخلقية أو اشكال الانحراف وتعرف هذه النظرية باسم النظرية الجسمية وهي تقول : أن المجرمين يتميزون عن غيرهم بسمات بدنية يمكن ملاحظتها في بيئتهم الخاصة ، فهي بهذا تربط بين حالتهم الجسمية وبين تصرفاتهم الشاذة، وبهذا اصبح . الاجرام ثابتا يصدر عن افراد معينين لهم شخصياتهم الذاتية وهم مجبرون في اجرامهم لان تركيبهم الجسمي يرغمهم على الاتيان بأفعالهم غير السوية . ولهذا سميت هذه النظرية احيانا بالنظرية الجبرية.

لقد ظهرت عدة نظريات عززت اركان نظرية لومبروزو ، اذ قام (جورلج) بدراسة علمية أراد أن يثبت عدم اصالة تلك النظرية حيث قام بدراسة مح فيها مجتمعا كبيرا من نزلاء السجون في انجلترا واستعمل في ذلك طرق القياس الاثنوجرافي التقاطيع كثيرة من الجسم واكد بذلك انه لا يوجد نمط بيولوجي او تشريحي محدد للجناح او الاجرام كما وصفه لومبروزو.

كذلك قدم كل من هيلي وهوايت دليلاً على عدم صحة هذه النظرية في تفسير الجناح ، وأكدا أثر العوامل النفسية التي تعوق العوامل البيولوجية والفسيولوجية التي هي محددات للانحرافات السلوكية ومقررات لها وخاصة بعد ان اجرى و هيل . ابحاثه على حوالي ١٠٠٠ من الجانحين، أكد بعدها ان هناك عوامل نفسية معقدة في طبيعتها متداخلة في بعضها يمكن أن تكون مسؤولة

أكثر عن الانحرافات السلوكية عند الأطفال، وفي الوقت نفسه أكد بأنه لا يستطيع معارضة أي رأي ينادي بوراثة الاجرام أو طبيعة المجرم بالميلاد، وأن أهم نقد يوجه لهذه الاتجاهات التي

كانت تغلب عامل الوراثة او الاستعداد السلوك، الفسيولوجي في تحديد الانحرافات السلوكية هي انها اهملت اثر البيئة في تعديل وكما ان الامراض والعاهات الجسمية تدخل في جملة العوامل التي قد تؤدي الى الجنوح اذ ان الدراسات الحديثة دللت على عدم وجود علاقة مباشرة بين المرض العضوي أو العامة والجنوح.

وعلى الرغم من ذلك فان دراسات سريعة وغير دقيقة أدعت وجود علاقة بين الجنوح ومرض التدرن الرئوي أو الملاريا أو الزهري وحتى الصرع الذي عد اساس السلوك الاندفاعي نحو اللذة او النكوص الطفولي. ان علم الامراض العصبية والنفسية الحديث يشير الى ان الأمراض التي يمكن أن تؤدي فعلا الى اضطراب في السلوك هي الاذى على الرأس وتخريب الدماغ الذي يحدث أحياناً اثناء الولادة العسرة أو بسبب التعرض للاختناق أو بسبب اختلاف فصائل دم الأبوين وكذلك التهاب اللخ الذي يمهد للسلوك اللا اجتماعي والجنوح.

أما العاهة الاعتيادية فأنها يمكن ان تؤدي الى سلوك جانح ليس بسبب تخريب عضوي في الدماغ والجهاز العصبي بل بسبب الشعور بالنقص وملحقاته التي شرحها (ادلر) في نظريته عن التعويض عن شعور النقص.

الامراض النفسية والعصبية والذهان:

المرض النفسي لا يعني بالضرورة الندرة أو الغرابة ولا مجرد السلوك غير الطبيعي الا اذا كان مقارناً ومقاساً بالنسبة الى ثقافة معينة ومجتمع خاص بحيث يؤدي استمراره ووجوده لدى الفرد الى اضطراب في شعوره بالراحة والصفاء والأمن والى الاخلال بكفائته الانتاجية كعضو في مجتمع والى تشويش نظرته الى الناس والعالم أو بعلاقته معهم، ويمكن تعريف الصحة العقلية السوية بما يأتي (هي الكفاءة العقلية والانسجام النفسي الداخلي الذي لا يعرقل الانتاج الفردي أو حركة الجهاز الاجتماعي والثقافي العام، ويكون مصحوباً عادة بشعور من الارتياح والسعادة).

والمرض النفسي هو كل ما لا ينسجم مع هذا التعريف وفهم المرض النفسي و اعراضه ليس بالأمر الهين. وقد اختلفت مدارس علم النفس المعاصرة وبقية العلوم الحياتية والطبيعية بتوضيح المرض النفسي ومن ابرز المدارس المعاصرة هي الفرويدية وخطتها في التحليل النفسي للأعماق وقد قدمت مفهوما حيا لألية الحياة العقلية ووضعت الاسس الايضاحية للأعراض النفسية المرضية. وقد فعلت بقية المدارس المقاربة الفرويدية الاثر نفسه ايضا كمدرسة يونج وجماعة فرويد المعاصرين مثل فروم وهورني وسوليفان.

اسباب المرض النفسي متعددة ومتشابكة، وفي الفرد الواحد تتعدد الاسباب كذلك . ونادراً ما يوجد سبب واحد للمرض الواحد، ويمكن تصنيف الاسباب الى ثلاثة مجموعات عامة هي:

1. الاسباب البيولوجية
2. الاسباب النفسية.
3. الاسباب الثقافية.

ولفهم كيفية حدوث المرض النفسي يجب تقسيم العوامل السببية إلى نوعين:

1. العوامل المساعدة أو الممهدة.
2. العوامل الحاسمة أو الترسيبية.

فالعوامل الممهدة هي التي تجعل من الفرد عرضة للأصابة بمرض نفسي معين اكثر من مرض اخر وقد تكون عوامل وراثية أو عضوية أو اجتماعية فالحرمان المواصل العاطفي والجفاء الذي يتعرض له الطفل قد لا يستطيع في المستقبل مواجهة مصاعب الحياة الواقعية ، أي أكثر استعداداً للأصابة بالعصاب مثلا أو العوامل الحاسمة في ترسب او تبلور المرض كحقيقة سريرية ملموسة فهي اذن شدائد مباشرة اذا توجهت الى فرد مستعد فجرت فيه المرض النفسي وأظهرته .

وهناك اتجاه اخر لدى بعض العلماء يقسمون على مجموعتين هما:

1. عوامل داخلية في ذات الانسان.
2. عوامل خارجية أو (محيطية).

واذا تناولنا الاسباب البيولوجية التي تشمل على مجموعة من العوامل الوراثية والتركيبية والمرضية تعمل كل واحدة منها على حدة أو تشترك مع بعضها . ان كل صفة بشرية ناتجة عن وراثة تشكيلات خاصة من الجينات، بالأضافة الى مفعول القوى المحيطية .. وتعد الصفة الوراثية نقية عندما تعتمد كلياً على تشكيلة من الجينات الوراثية كلون العين والطول .... الخ . اما اذا كانت الصفة نتيجة جينات ومضافا اليها ظروف محيطية فتكون غير وراثية خالصة بل يطلق عليها ولادية بمعنى ان عوامل في داخل الرحم قد حورت من الطاقة الوراثية فنتجت عنها صفات اخرى مزيجة من الوراثة الخالصة والمحيط.

وفي الدراسات الحديثة لأشكال الكروموسومات واعدادها تكشفت حقائق جديدة عن دور الوراثة في المرض العقلي والسلوك البشري . فقد وجد كروموسوم جنسي ذكري (Y) اضافي على العدد الطبيعي في الذكور السيكوبائيين الاعتدائيين وكان ذكاؤهم طبيعيا وقاماتهم طويلة كما وجد أن نسبة كبيرة من المرضى الذهانيين في المستشفيات العقلية يحملون كروموسوم جنسي انثوي(X) اضافي على العدد الطبيعي في الذكور والأناث على السواء.

ان وجود ادلة قوية على العوامل الوراثية في أمراض الفصام والكآبة والهوس والصرع لا يعني كونها وراثية صرفة . بل ان الاستعداد الوراثي في حاملي الجينات المذكورة يجعلهم أكثر استعداداً للأصابة بالمرض في حالة توفر ظروف اخرى.

اما العوامل التركيبية فيقصد بها مجموعة الصفات الحياتية للشخص والناتجة عن تلاحم عوامل متفرقة وتجمعها من الكروموسومات والجينات الوراثية، وظروف الحمل ونوعية البنية والجسم والجهاز الهرموني وكل نواحي فسلجه الجسم.

وتعني العوامل المرضية الاصابة بأمراض عضوية تغير من تركيب الجسم ومن توازن اجهزته ومن انتظام جهازه العصبي .. ولذلك يحدث اضطراب عقلي يصل الى حد الذهان او الخرف ومن الامراض المهمة التي تؤثر في عقلية الانسان وسلوكه الاذى والصدمات على الرأس (الرجة الدماغية) والتهابات السحايا والتهاب انسجة الدماغ وامراض القلب وسوء التغذية والامراض المزمنة ...الخ، اما الاسباب النفسية فتعود الى عوامل عدة فبناء الشخصية يقرر درجة المرض العقلي ونوعيته وكل فرد يمر بأدوار من الطفولة وحتى الشيخوخة وهناك عوامل عديدة تؤثر على مسيرة نمو كل مرحلة، فتتدخل عوامل البيئة البيئية والمدرسية في مرحلة الطفولة مما يجدد عملية التكيف الاجتماعي، وفي المراهقة تظهر عوامل، النضج الجنسي وما يتبعه من اعراض تحدد علاقة المراهق بالآسرة والمدرسة والاصدقاء والمجتمع، ويأتي دور الشباب وتبرز عوامل اخرى كالزواج والابوة و احتمالات الطلاق ثم مشكلات المهنة وكسب العيش.

وفي دور الكهولة، تظهر عوامل التوقف ثم التراجع في النشاط الجسمي وتبديلا البيت والاسرة ثم بدء سن اليأس واضطراباته وفي مرحلة الشيخوخة . تبدأ عوامل اخرى في التأثير على الانسان كالانحطاط في القابلية الجسمية والاضطرار الى الاعتماد على الغير ماديا أو جسميا أو اجتماعيا كذلك تبرز عوامل الوحدة والكأبة والعزلة والشعور بالتفاهة .

ويتدخل المحيط الثقافي في عملية نضج الشخصية الاساسية وبنائها واتجاهها والعوامل الثقافية (التي تشمل العادات والتقاليد والطقوس والاعتبارات والمعايير التاريخية والتراثية والشعبية) لها تأثير غير مباشر على حدوث المرض العقلي ، وفي حالات خاصة وشديدة قد تكون هي السبب المباشرة، اما الامراض العقلية (الذهانية) فتختلف عن العصاب النفسي باحتمال كونه من الامراض الداخلية المنشأ المتعلقة بالدماغ والوراثة والتغيرات الكيمياوية في الجهاز العصبي . وهو يؤثر في شخصية الانسان المصاب بصورة عميقة ويحور من تفكيره ونظرته الى الناس والحياة ويفقده الاستبصار.

ومن أكثر انواع الذهان بين الصغار والاحداث هو الفصام العقلي أو الشيزوفرينيا ويبدأ عادة حوالي البلوغ والشباب (من ١٥ سنة فما فوق) وربما ابتداء من السابعة من العمر واختلاف العلماء الامريكان عن الأوروبيين في كيفية تشخيص الفصام هو من اسباب الاختلاف في علاقته بالجنوح، ويعد العلماء الأوربيون ان الفصام احد مسببات الجنوح.

ان ما يمكن التأكيد عليه ان الاسباب العقلية والجسمية لجنوح الاحداث قليلة . اما نسبة الذهان في الاحداث الجانحين فلم يؤيد أي بحث جرى حتى الآن على انه عامل مهم في جنوح الأحداث. بل أن العلاقة كما يبدو عكسية.

4. الذكاء والجنوح:

الذكاء هو عنصر بيولوجي آخر يتعلق بالوراثة والاستعداد وبالبيئة كذلك وبما أن تحديد نسبة وزن الوراثة والبيئة في درجة ذكاء الانسان موضوع جدل مستمر. فأن نظريات الأجرام القديمة كانت تربط بين الجنوح والتأخر العقلي حتى قيل ان ما لا يقل عن ٥٠٪ من الجانحين هم متأخرون عقليا وقد اعتقد كثيرون، وقبل أن تظهر وسائل قياس الذكاء الدقيقة ، بأن الجانح غبي أو متأخر

عقليا . وهكذا اعتقد العالم (بيوس) بأن نسبة كبيرة من الجانحين هم ذوي ذكاء يقل عن المعدل العام . واعتقد (بيرت) أن التأخر العقلي بين الجانحين هو خمسة اضعافه بين الأسوياء، عد (جو دارد) معظم الاحداث الجانحين ضعاف عقول وقارن (ميرل) ذكاء (٥٠٠) منحرف بعينة عشوائية من الاحداث الاسوياء تبلغ (٢٩٠٤) . فكان معامل ذكاء المنحرفين . هو ٩١٢,٥ ٪ (الحد الادنى للمعدل العام) . ومعامل ذكاء الاسوياء ١٠١٨) الحد الأعلى للمعدل العام (وقد استعمل في ذلك اختبار) ستانفورد - بينية وهذا . يدل على ان ذكاء الجانح اقل من ذكاء الاسوياء بفارق ضعيف جداً.

اما دراسة (جلويك وجلويك) فتبين ان الجانحين والاسوياء متماثلون في الاختبار العملي المقياس (ويجسلر)، بينما تقدم الاسوياء على الجانحين في الاختبار اللغوي لنفس المقياس وهذا دليل على اثر العامل الدراسي والتحصيل والمعرفة وليس الجنوح.

كذلك يبرهن اخرون بأن لا علاقة للذكاء بنسبة الجنوح كما ان دراسة مستفيضة قام بها كل من (كلارا جاميل) و (هيل) و (برومر) دلت على عدم وجود علاقة بين الذكاء والجنوح وان التأخر العقلي الموجود عند بعض الجانحين يعد من جملة العوامل المساعدة, ونجد ان دراسة (ماكورد وماكورد) تقول ان ذكاء المنحرفين متوسط أو فوق المتوسط، وان الاذكياء منهم هم الذين يتحايلون وينمون من قبضة البوليس أي انه لا توجد علاقة مباشرة بين الانحراف ودرجة الذكاء.

ويقول الباحث الاجتماعي (ستوت) أنه لا يعتقد على الاطلاق بان للغباء أو التأخر العقلي تأثيراً في حدوث الجنوح، وان مقاييس الذكاء لن تصلح ابدأ لإرشادنا الى الجنوح ومسباته ما لم ندرس جميع العوامل الأخرى سوية.

5. الشخصية السايكوباثية:

تعني الشخصية السايكوباثية الشخصية المريضة نفسياً. وهذه التسمية تجعل من الصعب تحديد المظاهر التي يصح شمولها بهذا الاصطلاح . وقد دفعت هذه الصعوبة الى عشرات التعريفات لهذه الحالة. واقرب التعاريف استيفاء للخصائص . الاساسية للشخصية السايكوباثية هو التعريف الذي جاء به (شينى)، دو الشخصية السايكوباثية. هو فرد يتصف بعدم النضوج العاطفي أو الطفولية . مع نقص في المقدرة على تحكيم العقل. وفي التعلم من التجربة وهو عرضة لانفعالات آنية ، تدفع به الى ردود فعل لا تأخذ الغير، بعين الاعتبار كما يتصف بعدم الاتزان العاطفي، وبالتقلب بسرعة عاجلة من النشوة الى الكأبة اما تلقائيا او لأقل الاسباب وأتفهها ومن المظاهر الخاصة للشخصية السايكوباثية، الاتجاه نحو الاجرام، والتخلف الخلقي، وعدم الثبات في مكان أو عمل معين، والانحراف الجنسي أما الذكاء عند السايكوباثي - كما تظهره المقاييس - فهو طبيعي أو اعلى من المعدل وان كان بعض السايكوبائيين على الحافة في معدل ذكائهم .

وهناك نظريات استهدفت الاسباب المؤدية إلى الشخصية السايكوباثية تتلخص بما يأتي:

1. العامل الوراثي: أن من الصعب اثبات العامل الوراثي بشكل علمي قاطع ، الا ان ورود حالات سايكوباثية في التوائم وفي العائلات التي عرفت بوجود سايكوباث أو أكثر فيها يدلل على فعالية العامل الوراثي.
2. عامل المخيط: ويرى كثيرون أنه في غاية الاهمية في تكوين الشخصية في السنوات الأولى من الحياة. ومع أهميته فان الدراسات في هذا المجال قليلة ولا تكفي لإعطاء تقدير صحيح عن فعاليته، ومع ذلك فان البحث في هذا العامل يفيد بتصدع الصلات العاطفية والمادية والتربوية بين الطفل ووالديه، ومن غير الواضح فيما اذا كان هذا التصدع هو السبب أو النتيجة للحالة السايكوباثية مما يجعل أمر التفاضل بين الوراثة والمحيط أمراً صعبا.

ودلت بعض الدراسات ايضا على الحركة الكهربائية الدماغية للمصابين بالشخصية السايكوباثية ان هذه الحركة غير مكتملة النمو، وان هنالك تخلفاً في نضوجها الى الدرجة التي تتناسب مع السن، ومن الصعب أن ندرك ان هذا التخلف قد جاء بسبب عامل طارئ في الطفولة اثر في مادة الدماغ أو جاء بسبب استعداد وراثي. ويميل اعتقاد المختصين بهذا الفرع في الدراسة الى ترجيح العامل الوراثي.

هناك انواع متعددة للشخصية السايكوباثية وفيما يأتي بعضها:

1. سايكوباثية التعدي: وفيها يقوم الفرد بالاعتداء على الغير بشكل اندفاعي سريع و بدون سبب أو على اثر اثارة غير كافية . ويؤذي المريض نفسه والآخرين ولا يشعر بالندم ولا يكترث للعواقب المترتبة على فعلته، كما لا يفيد فيه اي اجراء عقابي .
2. السايكوباثية الالزامية: وهي التي يدفع بها المريض دفعاً الزاميا للقيام بعمل اجرامي لا فائدة منه كأن يقوم بأشعال النار في البيوت أو الممتلكات أو الغابات أو سرقة ممتلكات الغير دون الحاجة اليها.
3. سايكوباثية التخلف العاطفي: وفيها تبدو الردود العاطفية للفرد طفولية وغير ناضجة وكأنها من صفات من هو اصغر منه سنا وتجربة وثقافة ولذلك نجد المريض يقيم علاقات عاطفية أو جنسية أو اجتماعية مع من هم اصغر منه سنا.
4. السايكوباثية الاخلاقية : وفيها يظهر المريض وكأنه لم يعد اعداداً خلقياً ومعنويا سليما ومن مظاهر هذه الحالة الكذب والغش والخداع ، للوصول الى ما يرغب به بأقرب وسيلة.
5. السايكوباثية الابداعية: وهي التي يعرف بها بعض المبدعين في مجالات الادب والفن . فمنهم من عرف بالشذوذ والانحراف في السلوك الى جانب عبقريتهم ويبدو كأنه هنالك ارتباطا اساسياً بين النزعة السايكوباثية وبين القابلية الابداعية.
6. العمر: ان العمر بالنسبة الى الطب وعلم النفس عامل مهم من ناحية التكوين البيولوجي ومعايير السلوك البشري السوي والمنحرف . في مرحلة جنوح الاحداث (من الثامنة حتى الثامنة عشر من العمر) نرى كيف أن العمر يتعلق من ناحية بالنمو البيولوجي ومن الناحية الاخرى بالبيئة والجماعة وظروف العيش . ثم نرى كيف أن صنفاً معيناً من السلوك المنحرف يتعلق بمرحلة من العمر وقليل الارتباط بمراحل اخرى والدراسات

العديدة في مختلف الاقطار في العالم تكاد تقارب بعضها في جوانب السلوك المنحرف وعلاقته بمرحلة معينة من العمر.

تتميز مرحلة المراهقة (١٥ - ١٨ سنة) يحب المغامرة والبحث عن تجارب جديدة ومشكلات المراهقين في الدول المتقدمة أكثر مما هي عليه في المجتمعات، المتخلفة وكل ذلك يتعلق بالاتجاهات والميول المرتبطة بمرحلة العمر وبيولوجية . الجسم البشري التي قد تدفعه الى مخالفة القانون والجنوح وفي العراق وجد أن التشرد يكثر في الاعمار ١٠ - ١٥ سنة . واعلى نسبة للتشرد تنحصر بين الاعمار ١٣ - ١٥ سنة بنسبة ٥٠٪ كما أن مكتب الخدمة الاجتماعية في محكمة احداث بغداد وجد في احصائياته من جرائم السرقة والعنف والجرائم الاخلاقية هي اعلى بين الفتيان من الصبيان (أي بعد الخامسة عشر من العمر)

7. الجنس : جنس الحدث عامل بيولوجي اخر في الجنوح . فهو مرتبط بالتكوين العضوي ، وبأنشطة اجهزة الجسم. وبكميات الهرمونات الأنثوية والذكرية في الدم . ثم بفترة البلوغ تعند الذكر وعند الانثى . ثم يرتبط اولا واخراً بالشخصية ككل.

والحقيقة التي لا تختلف فيها أية دراسة عالمية لحد الان ان جنوح الاناث اقل بكثير من جنوح الذكور ولذلك علاقة وثيقة بشخصية الانثى كمخلوق بيولوجي ذات شخصية تتقبل التقلبات والانعكاسات الشرطية التربوية وتساير القيم والتقاليد السائدة وتتلقى الدروس الحياتية وتحتفظ بها كالتزام وواجب ذاتي (نظرية ايزنك في الشخصية) والاختلاف بين جنوح الاناث والذكور تدلنا بوضوح على اهمية الجنس على أن ندرة الجنوح بين الاناث لا تعني أن مقاومة الانثى أكثر من الذكر.

بل على دور الانثى السلبي عادة وعلى تركيبها البيولوجي ، وأغلب جنوح الاناث .. هي من نوع السرقة . أو الهرب من المدرسة أو العراك ، أو المخالفات الجنسية .

فيبدو ان انحراف الفتيات يميل الان الى الارتفاع التدريجي ، وانه يتجاوز احيانا في مناطق متفرقة جنوح الفتيان، ففي فرنسا مثلا ارتفعت نسبة جنوح الفتيات عام ١٩٦١ بنسبة ١٨.٦ % عما كانت عليه عام ١٩٦٠ ، بينما كانت نسبة جنوح الفتيان ١٤.١٪ في تلك السنوات.

2) <u>الاتجاه النفسي:</u>

يبحث هذا الاتجاه في العوامل النفسية المؤدية للسلوك الاجرامي حيث توجد حالات نفسية مرضية ينجم عنها نشوء سلوك مضاد للمجتمع . فيرجح جماعة التحليل النفسي الجنوح الى اضطراب في التكوين النفسي لشخصية الفرد . فالطفل عندما ينمو يتحول بالتدريج من اشباع رغباته والحصول على اللذة وتجنب الالم الى شخص يوجه طاقته نحو صداقة معينة تتفق ومتطلبات المجتمع وتتكون الانا (Ego) وهي تهي السبل لإشباع الدوافع الغريزية لشرط انه تخضع لنظام الجماعة وتقاليدها. وبعض هذه الدوافع يكبت في اللاشعور مكونا الذات الدنيا أو الهي (Id) ولا بد من وجود قوة رادعة للدوافع الغريزية الملحة في اللاشعور لسلوك الطفل بغض النظر عن الوجود الفعلي للطلة في الخارج أو غيابها متمثلة في الوالدين او اية سلطة ضابطة اخرى . وهذه القوة تبدأ بالتكوين

عندما يبدأ الطفل بالشعور بالخجل والامتعاض اذا ما قام بما لا يباح له من اعمال ويذنب نفسه بالرغم من مسامحة الوالدين له وهذا ما يدلل على تكوين الذات العليا أو الضمير لديه العليا.

وللتنشئة الاجتماعية اثر كبير في تكوين نوعية الذات العليا، فلاتجاهات الوالدين وسلوكهما تنمي الجانب الخاص لدى ابنائهم عن طريق تقمص شخصياتهم والذي يعد اساساً مهما في جنوحه.

ان الضمير الاخلاقي للجانح لم ينضج نضجاً كافياً بحيث يؤهله للحكم العادل المتزن في علاقاته بالذات وتصرفاتها. كما ان فاقد القدرة على التعبير والتحكم في تلك الدوافع والرغبات فينشأ عن ذلك عدد من الامراض النفسية كالقلق وعصاب القهر والظواهر الهيستيرية، ويرجع جماعة التحليل النفسية حالات الصراع واضطراب نحو الذات العليا الى علاقة الطفل بأبويه بسبب الصراع الأوديبي وقد يرجع القلق الى انعدام الدفء العاطفي في الاسرة أو التناقص والتشقيد في البيئة مما شعره بالعجز وقد يتخذ الفرد اسلوبا عدائيا لطريقة لخفض ومقاومة شعوره بالعجز امام عالم يشعر بأنه يعاديه ويلجأ هذا التبرير لإعادة شعوره بالأمان، وهذا ما توصلت اليه (كارن هورني)، اما (جون بولبي) فقد وجد ان الجنوح يرتبط بالحرمان من رعاية الام نتيجة للعلاقات المضطربة بين الوالدين وانعدام الدفء العاطفي والنبذ المستمر للطفل.

3) <u>الاتجاه الاجتماعي:</u>

أ - العوامل البيئية الداخلية (الوسط العائلي): يقصد بها العلاقات الأسرية كالعلاقة بين الوالدين والتصدع الأسري الأسرة المفككة وسوء تصرف أحمد الوالدين واهمال الاسرة للأبناء ونبذ الاباء والاشقاء والاصدقاء للحدث والاستعداد الاجرامي للآسرة والادمان على المخدرات وحالة الأسرة الاقتصادية فالحياة الزوجية المضطربة تنعكس على الاطفال او ان اثار الخلاف بين الزوجين في القيم والمعايير الاساسية يظهر في واحدة أو أكثر من الصور الآتية:

1. تنازع الولاء للأسرة ككل واضطراب الطفل ازاء الضغوط الانفعالية التي يعانيها نتيجة التوتر العنيف بين الوالدين الى الانتماء إلى أحد المعسكرين دون الآخر.
2. خيبة امل الطفل في مصدر السلطة وهو الاب ومظهر العطف وهي الام يدفعه إلى الانتماء إلى العصابات التي يجد فيها الإشباع العاطفي الذي يفقده في اسرته ويتعرض الطفل خاصة في مرحلة المراهقة الى حالات خطيرة من الانحلال الخلقي لانعدام الضابط الخلقي واهتزاز المثل العليا والقيم الاخلاقية في محيط اسرته.
3. ظهر أن نسبة عالية من حالات التشرد والمروق توجد لدى اطفال الاسر المضطربة أو المحطمة بسبب الهجر والطلاق أو وفاة احد الوالدين او كليهما.

فللعوامل الأسرية والتنشئة الاجتماعية اثر كبير في الانحراف، فالطلاق والهجر والترمل والانفصال وسجن العائل وكبر حجم الاسرة لها نتائج خطيرة على الاولام وهي كما يأتي:-

1. حرمان الاطفال من عنصر مهم من عناصر التربية والتعليم وهو اثر الوالدين .
2. حرمان الاطفال من الموارد الاقتصادية الضرورية لتنشئتهم وتربيتهم تربية سليمة .
3. حدوث كثير من الصراعات بين افراد الاسرة مما يفقد الاحداث الشعوري بالأمان وعدم الاطمئنان والقلق النفسي .

4. شعور الاطفال بالإخفاق والشقاء للتغير المفاجئ الذي يصيب حياة الاطفال بعد الطلاق أو سجن العائل.
5. ادمان الاب على المخدرات مما يساعد على ضعف شعور الاب بالمسؤولية كمان يقلب من احترام الاسرة للمسؤول عنها.
6. تدليل الطفل بصورة مفسدة فيقوم الوالدان بتلبية كافة رغباته فيوثر ذلك على شخصيته وقد يفسد السلوك عندما يترك الطفل يفعل ما يشاء.

4) الاباحية في الاسرة:

من البديهي ان الاسرة التي تغذي ابناءها بمجموعة من الفضائل الانسانية والاخلاقية وبهذه المعايير وانماط السلوك التي امتصها من محيط اسرته يواجه الصغير مجتمعة الكبير فاذا ساد الاسرة قيم لا أنسانيه تصارعت لديه قوى المعايير المختلفة وكثيراً ما تضعف في نفسه القوى الرادعة نتيجة لعدم تغذيتها اصلا بمجموعة من القيم او المعايير تصبح المعايير المنحرفة مألوفة لديه فينحرف. اما الاباحية في الاسرة تشمل:

1. عدم احترام العادات والتقاليد وانماط السلوك المتعارف عليها في مجتمعه وتقديرها.
2. ضعف القوى الروحية أو انعدامها.
3. انهيار معاني العفة وتغليب الغرائز والاستسلام لها.
4. الانصراف عن الالتزامات الاسرية والحفاظ على مقومات العلاقة بين افرادها . ه استباحة الاستيلاء على حقوق الآخرين او تحطيم مصالحهم وسمعتهم بقصد التشفي واشباع دوافع العدوان.
5. الهروب من الواقع الاجتماعي وتقاليد الحضارات الواحدة.
6. هبوط مستوى القوى الضابطة في الأسرة.

ب - العوامل البيئية الخارجية : لم تستطع البحوث والدراسات التي اجريت، على حالات كثيرة من الاحداث المنحرفين ان تحدد بدقة درجة الاهمية النسبية لكل العوامل الشخصية والعوامل البيئية الداخلية والخارجية في احداث الانحراف اذ متداخلة. ومن العوامل البيئية الخارجية:

1. المسكن: ان الجانب المرفولوجي للمسكن من حيث تخطيطه وتصميمه وطريقة بنائه وعدد غرفه واتساعها وكفاية امكاناته ومرافقه وما الى ذلك تعد كلها من القوى البيئية الخارجية التي تؤدي دوراً يضيق أو يتسع بالنسبة للانحراف في الاحداث كما ان الجانب الفيزيولوجي في المسكن هو ما يعرف بالعلاقات الانسانية والاتصالات بين افراد هذا السكن ووحدته والجو الذي ينبعث داخل هذا الاطار المادي لا يمكن ان يعد من قبيل العوامل البيئية الخارجية وانما هي مؤثرات بيئية داخلية ، ومن جهة اخرى فان طبيعة العلاقات والاتصالات الانسانية القائمة في اطار هذا المجتمع الصغير انما يغذيها ويشكلها ويحولها الى العوامل البيئية الخارجية فقد يؤدي ازدحام أفراد الاسرة في حجرة واحدة الى تحديد انماط التعامل بين افرادها كما انها قد تؤدي الى الانصراف عن الترويح الداخلي

الى ترويح خارجي قد يشكل هو الآخر مؤثراً بيئياً خارجياً يضغط بمستويات مختلفة من العمق على هؤلاء الافراد ونكرر القول بأنه لا يمكن الفصل بين العوامل المؤدية الى جنوح الاحداث انما صنفت الى مجموعات تنظيما شكلياً للقوى المتقاربة في ابعادها دون أن يعني ذلك امكان عزل اي منها عن التداخل والتشابك مع عامل أو عوامل عدة في الفئات الأخرى وقد تتداخل هذه المؤثرات بصورة تجعل من غير الميسور تحديد نصيب كل منها في احداث الانحراف، وقد تكون طبيعة الحي تساعد على تفريغ الاجرام كالأحياء المليئة بالحانات وغيرها مما يساعد على الانحراف وان الاحياء المتخلفة (Slums) تضم مجموعات بشرية تعيش في ظروف اسكانية في مستوى لا يليق بالإنسانية وهذه تؤثر تأثير مباشراً في معايير الحدث وقيمة انماط سلوكه ففي هذه الاحياء تتجمع فئات معتادي الاجرام والهاربين من العدالة.

2. الحي والجيرة : قد يكون الحي ذا طابع تجاري مزدحم بالمواصلات او قد يكون ذا طابع سكاني مزود بالحدائق أو قد يكون ذا طابع ترويجي وما الى ذلك . هذا الطابع الذي قد يبدو اقتصادياً او اجتماعياً بحتا له آثار اخلاقية بعيد. المدى على نظرة الفرد للحياة من جهة وعلى اسلوبه في الاتصال والتألف مع الآخرين من جهة اخرى وقد دلت نتائج الدراسات والبحوث التجريبية ان الطريق الذي يسلكه الحدث في تردده اليومي على مدرسته او عمله له دور واضح في كافة مشكلاته التي يواجهه في مدرسته و في عمله. فالتأخر عن مواعيد الدراسة أو العمل والهروب بأنواعه المختلفة والتخلف الدراسي وكثير من حوادث العمل تتأثر بطبيعة الحي وظروفه بدرجات متفاوتة بحسب المقومات الشخصية للحدث. وقد تكون طبيعة الحي تساعد على تفريغ الاجرام كالأحياء المليئة بالحانات وغيرها مما يساعد على الانحراف وان الاحياء المتخلفة (Slums) تضم مجموعات بشرية تعيش في ظروف اسكانية في مستوى لا يليق بالإنسانية وهذه تؤثر تأثير مباشراً في معايير الحدث وقيمة انماط سلوكه ففي هذه الاحياء تتجمع فئات معتادي الاجرام والهاربين من العدالة.
3. المدرسة والنظام المدرسي: تتميز عملية اعداد الصغار للتكيف مع المدرسة بأنها من اشق العمليات الاجتماعية واهمها في الوقت ذاته فاذا لم يجد التوجيه والرعاية الكافيين من جهة واذا اصطدم بأوامر والتزامات قاسية من جهة اخرى فقد ينحرف عن النظام المدرسي وتعد قسوة المدرسين من الاسباب التي يمكن أن يرجى اليها فشل الاطفال في حياتهم المدر المدرسية ويظهر في الصور الآتية:

أ- الهروب من المدرسة: ويمكن الكشف عنه عن طريق ملاحظة الغياب المتكرر وتجرى الاسباب عن طريق الاتصال المباشر بالأسرة وهيئة التدريس وزملاء المدرسة.

ب- التخلف الدراسي: قد يرجع الى ضعف القدرات العقلية أو الى اسباب في الاسرة او المدرسة وعلى المدرسة الكشف المبكر باستخدام الاساليب المناسبة لان التخلف الدراسي قد يقود الى الانحراف.

ت- الانحراف داخل البيئة المدرسية واهمها حالات الشذوذ الجنسي وحالات التملك.

ان اية مؤسسة اجتماعية أو تربوية لا يمكنها ان تقوم بواجباتها في مجال الرعاية الاجتماعية الا عن طريق الاسرة والتعاون معها. فغالباً ما تفشل المدرسة عندما تفشل العائلة فيكون عمل المدرسة بعد ذلك عملية ترقيع.

4. العمل وطبيعته وظروفه: قد يستغل اصحاب الاعمال الاحداث ويرهقونهم وقد تستغل استغلالا يضر بصحتهم ويضعفهم بسبب الارهاق وسوء التغذية الناتج عن ضالة الاجر. وقد حظرت الاتفاقية الدولية رقم ٧٩ لسنة ١٩٤٦ استخدام الاحداث الذين يقل عمرهم عن ١٤ سنة المتوفرة فيهم شروط الاستخدام في نطاق ساعات عمل كاملة أو جزئية كما منع قانون العمل العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٧١ تشغيل الاحداث دون الخامسة عشر من العمر كما منعت تشغيل الاحداث الذين تجاوزوا الخامسة عشر ساعات اضافية وانهم خاضعون للفحص الطبي والرعاية الاجتماعية والتأهيل المهني أو أعادة التأهيل العمل مناسب.
5. الرفاق: يعد الرفاق والزملاء في العمل والدراسة أو الحي والجيرة مؤثرات بيئية خارجية على درجة كبيرة من الاهمية. اذ ان تشكيل هذه الجماعات يتصف بخصائص تتميز بقوة الدوافع التي تشد الطفل وتجذبه الى الخضوع التام لأحكامها ومقرراتها وكثيراً ما تكون هذه الاحكام غير متفقة مع آداب المجتمع ونظمه في الوقت ذاته تشيع لدى الناشئين الصغار كثيراً من المواقع الغريزية الملحة التي لم يجدوا لها مجالات الاشباع المنتظم في عالم الواقع والجو الذي يشعر بالحرية والانطلاق. ان اثر الرفاق لا يؤدي بالضرورة الى الانحراف أو الخروج على آداب المجتمع و نظمه الا اذا وجد مجالاً مساعداً لتفريغ الانجراف وقد يتصل الاحداث بعصابات من البالغين فيتعلمون سلوكهم وكثيراً ما يصاب افراد العصابات بالشخصية السايكوباثية ضد المجتمع والتي تجد لذتها في الاعتداء على الاشخاص الآخرين واموالهم. وهنا يجد الحدث نفسه خاضعا لسلسلة قاهرة تؤدي إلى اضطراب سلوكه وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي مما يؤدي الى السير في تيار الجريمة وتصبح مصدراً الاشباع اعتبار الذات لديه وعلى المدرسة والاسرة التعرف على رفاق الحدث واتخاذ الوسائل الكفيلة التربوية لتجنبه من مرافقة رفاق السوء.

6. السينما والصور الفاسدة والقصص المثيرة: تعد السينما وبخاصة المثيرة للغرائز عاملاً اساسياً في انحراف الاحداث، وخطورة هذه العملية انها تفصل الحدث عن المجتمع السليم وتدفعه على الاتصال بنوع آخر من المجتمعات يتصف بالانهيار الخلقي والاجتماعي . ومن المعروف ان الحدث يرغب التقليد والمحاكاة وسيجد في السينما بغيته وهو ايضا يردد في تمثيله كا ما مر امامه ومن ثم يتحرر من القيود ويكشف عما يجيش في نفسه من نزعات ومن ثم يندفع الى الانحراف.

أما الصور الفاسدة فتلعب دوراً خطيراً في حياة الحدث وخصوصاً الذين يفدون من القرى فيندفعون لمعرفة كل شيء عن امور ما تحتويه هذه الصور ويحاول لحدث تقليد ما في الصور وينزلق والقصص المثيرة وخاصة القصص التي بالانطلاق والتحلل كالقصص العاطفية الغرامية

الفاسدة التي تساعد على لجنسي والتي لا تتفق ومن الحدث وكذلك لا تساعد عن طريق وجوده في لصالحة وبذلك ينزلق نحو تيار البيئة المنحرفة.

7. التصنيع والتحضر : ان المجتمعات المتجهة نحو التصنيع هي مجتمع تغييرة فالانتقال من الحياة التقليدية التي تتميز بها الحياة الريفية الى حياة . شابك فيها العلاقات الانسانية يؤثر في طبيعة الروابط الأسرية من جهة وفي علاقات الاجتماعية من جهة أخرى. فالحياة في القرية تتميز بالترابط الوثيق لأسرة الريفية ككل من جهة وبين أفراد الاسرة الريفية كوحدة مستقلة من خرى .

8. الحراك الاجتماعي: ان التطور السريع لبعض الاقطار والتوازن والتغير مفاجئ يخلق حراكا اجتماعيا. هذا الحراك الاجتماعي يؤدي ببعض الاسرا الافراد الى الصعود والاخرى الى الهبوط فاذا لم يضبط هذا الاختلال يخلق عوامل غير متوازنة في حياتهم ويؤدي ببعض المراهقين الى الانحراف.

ان الحراك الاجتماعي يعبر عن دينامية المجتمع ويستجيب لكل التغيرات التي تحدث نتيجة لتغيير ابعاد العلاقات وتقريب الفوارق والتمايزات الطبقية. ولأي من ضبط لهذه العملية ويعد (سوركن) بعض الصور المهمة للحراك الاجتماعي كتابة النظريات الاجتماعية المعاصرة وكتابة الحراك الاجتماعي اذ قسمه إلى حراك اقتصادي وحراك سياسي وحراك مهني وحراك لغوي وحراك ثقافي وحراك عقلي وحراك ديني وحراك ايكولوجي (بيني) وحراك صناعي، وقد يكون الحراك الاجتماعي للأفراد وللموضوعات الاجتماعية وهو على شكلين أفقي ورأسي.

نستنتج ان هناك وجهات نظر متعددة في الاسباب التي تؤدي الى الجنوح ولكل وجهة لها باحثيها واطارها الفلسفي الذي ينطلق منه، ولكن نجد انه لا يمكن الفصل بين تلك الجوانب وانما هناك عوامل كثيرة متداخلة تؤدي الى الجنوح كما ان لكل مجتمع خصائصه ولكل اسرة خصائصها لكل فرد سماته التي هي حصيلة المتغيرات في عوامل التنشئة الاجتماعية وكل حالة جنوح هي فردية فلا يمكن أن نقتصر على وجهة نظر واحدة بل نستطيع القول ان الجنوح هو سلسلة متصلة من المتغيرات، ان سبب تعدد وجهات النظر للباحثين والمهتمين بجنوح الاحداث والاسباب المؤدية لها يرجع الى ان كلا منهم ينظر الى ظاهرة الانحراف من زاوية معينة ووجهة نظر خاصة مبينة على اهتماماته واطاره الفلسفي الذي ينطلق منه.

ان السلوك الجانح ليس وليد سبب واحد بل هو سلسلة متفاعلة متصلة من التغيرات والعوامل من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية، فيرتبط العاملان النفسي والاجتماعي بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً فاضطراب الشخصية يمكن ان تسهم فيه عوامل النبذ او الاهمال الاجتماعي للطفل وانعدام الدفء العاطفي والعلاقات المضطربة بين الوالدين واثر ذلك على معاملتهما له، وغيرها من المشكلات الاجتماعية ذات الأثر النفسي الكبير في حياة الطفل وشخصيته ومستقبله، كما ان العامل الفسيولوجي قد يؤدي الى الجنوح كالتهاب المخ او التخريب الدماغي والتعرض للاختناق والعاهات ولكن ليس بصورة مباشرة وانما ما تؤديه هذه الاعراض من آثار نفسية تؤدي الى سلوك جانح . علما بان كل حالة جنوح هي فذة بحد ذاتها لها خصائص وصفات عامة يمكن تمييزها عن غيرها من فئات الجنوح الاخرى. وصفات اكثر خصوصية تميز الجانحين بعضهم

عن البعض الآخر . وهذا لا يعني اهمال جانب والاخذ بجانب آخر ولكن الاخذ بجميع هذه الجوانب والاسباب متكاملة يؤدي بنا الى تفسير أي سلوك جانح.

دراسة الاحداث ورعايتهم ووقايتهم من الجنوح

ان الوسيلة الوحيدة لفهم عوامل جناح الاحداث هو اتخاذ المنهاج العلمي وسيلة الدراسة والبحث والمنهاج العلمي الذي يقوم على الموضوعية ويؤمن الترابط والتكامل وربط الاسباب . بالنتائج بهدف الوصول الى الحقائق وفي ضوء هذا المنهاج تعددت أساليب الدراسة كما سنرى فيما يأتي:-

١) اسلوب دراسة الحالة : وهو الاسلوب الذي تستخدمه الخدمة الاجتماعية في دراسة حالات الجناح ومعالجتها بصفة عامة. ينهج هذا الاسلوب الى دراسة عوامل الجناح لكل حالة على انفراد وفق ظروفها وملابساتها الشخصية والبيئية ولذلك فانه يدرس الحدث دراسة بيولوجية فقد يكون من عوامل جناحه اصابته بعاهة مرض ، كما يدرس دراسة سيكولوجية ويدرس مداركه العقلية فقد يكون من عوائل جناحه اضطرابه النفسي الناجم عن الحرمان والقلق وقد يكون بسبب ضعف مستوان العقلي ويدرس ايضاً دراسة اجتماعية فقد يكون جناحه بسبب خلل في اسرته مدرسته او جماعة رفاقه في اللعب أو يدرسه من النواحي المرفولوجية فقد يكون من عوامل جناحه وجوده في بيئة تدفعه الى الانحراف .... الخ. وهو بطبيعة المنهاج العلمي خليط من هذه العوامل . وان كان لاحدها اهمية نسبية في حالة دون اخرى وهو اسلوب علمي يعني بانفراد ويؤدي الى تكوين صورة شاملة عن الحدث وعوامل انحرافه مما يستخدم اساساً لعلاجه سواء في علاجه ذاتياً او اجراء تعديل بيئي أو في كليهما معا، وهو المتبع عادة.

٢)اسلوب دراسة العوامل العامة للجناح: وهذا الاسلوب يعتمد على تجميع نتائج الدراسات السابقة وتصنيف تلك النتائج في اصناف معينة كعوامل الجناح وإليكم التصنيف الاتي:

1. العوامل الشخصية: كالاضطرابات الصحية والنفسية والعقلية اذ التخلف العقلي أو القابلون للانحراف او غير المندمجين واصحاب الشخصية المضطربة.

2. العوامل البيئية:

أ- البيئة الداخلية: الأسرة والتنشئة الاجتماعية منها التفكك الأسري والوضع الاقتصادي للأسرة.

ب- البيئة الخارجية: النظام الاجتماعي والظروف المجتمعية المدرسة العمل العامل المرفولوجي المسكن ومقره ونوعه واكتظاظه بالسكان الصور المتحركة الرفاق.

3. التصادم الحضاري: التصادم بين الحضارة الموروثة والحضارة الوافدة . وتتعدد الطرق التي يمكن بها التنبؤ باحتمال الجنوح ودراسة تلك العوامل وكل طريقة تعكس فلسفة

واصفها الا ان هذه الطرق متشابهة، وسنذكر بعضاً منها لان المجال لا يسمح بذكرها جميعاً:

أ- اختبارات الشخصية:

كانت هناك محاولات عدة استعملت فيها اختبارات الشخصية التي وجد انها تفرق بين المنحرفين وغير المنحرفين. وقد استعرضت (ميرل) بعض هذه الاختبارات وهي تلخص النواحي التي تميز فيها هذه الاختبارات بين المنحرفين وغير المنحرفين فيما يأتي:

١ – الثبات الانفعالي كما تقيسه بعض الاعراض المتصلة بالسيكوباثية.

٢ – النضج الانفعالي كما تقيسه عناصر مثل انواع الاشخاص الذين يحبهم الفرد ويعجب بهم . نواحي القلق والمعارف الاشياء التي تعد صوابا او خطأ الاهتمامات وما يحبه الفرد ويكرهه.

٣ – السمات الاجتماعية والانفعالية التي يقال انها تميز الشخصية السيكوباثية.

٤ ـ التكيف الاجتماعي: كما تقيسه استجابات عن اسئلة تفسر على انها تدل على الاهتمام بالناس والمشاركة الوجدانية والاتزان وضبط النفس والرغبة الموجهة الى هدف .

٥ ـ الاتجاهات الشخصية كما يقيسها: النقد الذاتي نقد الولد العادي أو المتوسط، والاحساس باختلاف عن الولد العادي او المتوسط الشعور بالعظمة والبصيرة الاجتماعية.

٦ ـ السلوك المشكل كما يقدره آخرون مثل: السمات العقلية والسمات الجسمانية والسمات الاجتماعية والسمات الانفعالية.

وتعلق (ميرل) على اختبارات الشخصية كأدوات يستعملها الاخصائي النفساني بقولها انه وللأسف لا تساعد على فهم الجانح غير انه يمكننا ان نقر أن بعض اختبارات الشخصية تكشف عن بعض السمات التي تفرق بين الجانحين وغيرهم من العاديين الا انه يبدو ان بعض الأفراد الذين توجد فيهم هذه السمات ينحرفون بينما لا ينحرف بعضهم الآخر، هذا بالأضافة إلى فشل كثير من اختبارات الشخصية في بيان العلاقة السببية بين السمات التي تقيسها وبين الانحراف.

ب- الاختبارات الاسقاطية:

ا - اختبار الرورشاخ:

ويسمى الاختبار باسم عالم سويسري. وهو عبارة عن عشر بطاقات من الورق المقوى، على كل بطاقة شكل عمل بوضع نقطة من الحبر على ورقة طويت من الوسط قبل جفاف الحبر فلما انتشر الحبر نتيجة لطبي الورقة ينتج الشكل – وقد عملت الاشكال على خمس من هذه البطاقات بالحبر الاسود ، بينما اضيفت الوان -اخرى الى اللون الاسود في الخمس بطاقات الاخرى، ويعطي هذا الاختبار بتقديم البطاقات واحدة بعد الاخرى للفرد بنظام معين، ويقوم الاخصائي بتسجيل الاجابات على كل بطاقة، وبعد الانتهاء من كل البطاقات يبدأ الاخصائي ثانية بعرض البطاقات على

المفحوص واحدة واحدة ليحدد اين يرى المفحوص ما سبق له ان راه والعناصر الموجودة في البطاقة التي ادت به الى رؤية ذلك. ونوع المحتويات.

لقد طبق هذا الاختبار في دراسة (جلوك وجلوك) على خمسمائة حدث منحرف وخمسمائة حدث في المجموعة السوية المقابلة وقاما بتحديد سمات للشخصية افترضنا انها تمت للانحراف ويكشف عنها الرورشاخ وكانت اهم السمات القائمة على اساس الرورشاخ والتي وجد انها تفرق بين المنحرفين وغير المنحرفين هي:

1. السيطرة الاجتماعية.
2. التحدي.
3. الشك.
4. التخريب.
5. عدم الثبات الوجداني.

ويعلق (شافتل وشافتل) وهما اللذان قاما بتفسير بروتوكولات الرورشاخ على هذه السمات بقوله أن المنحرفين بمجموعهم يفوقون غير المنحرفين في السيطرة الاجتماعية التحدي ، والتناقض الوجداني تجاه السلطة . كما انهم يتميزون اكثر بكراهيتهم للآخرين وعداوتهم وشكهم وتخريبهم .... وهم أكثر اندفاعا وحيوية وهم بلاشك اقل خضوعاً للسلطة ويعانون بدرجة تفوق غير المنحرفين من الخوف من الفشل والهزيمة، وهم اقل تعاون مع الآخرين وقد اكدت دراسات كثيرة صحة الاطار النظري المستمد من الرورشاخ الذي اتخذه (شافتل وشافتل) للتفرقة بين المنحرفين وغير المنحرفين.

٢ - اختيار تفهم الموضوع:

او اختبار الصور (TAT): وهذا الاختبار عبارة عن ٣٠ صورة وبطاقة واحدة بيضاء، بعضها صالح للرجال والصبيان، والبعض الآخر صالح للبنات والنساء، و بعضها صالح لكل من وجنس وتعطى الصور المناسبة للفرد واجدة بعد الأخرى بعد ان يقال له هذا اختبار لقوة الخيال عليك أن تنظر للصورة وتبين ماذا يحدث عنها مبينا كيف بدأ هذا المنظر وكيف ينتهي . ومن شعور الافراد الموجودين ؟ ويقوم الاخصائي بتسجيل القصة التي يدني بها المفحوص، والصور غامضة غموضاً كافياً يؤدي الى اختلاف الافراد في الاستجابة لها. ويبين هذا الاختبار دوافع الشخص. وحاجاته وعواطفه ونواحي الصراع عنده ومحتويات خياله ويقوم هذا الاختبار على أساس أن الفرد اذا قام بتفسير موقف اجتماعي غامض فانه يكشف في العادة عن شخصيته بالانحراف بما لا يمكن الاعتراف به في ظروف اخرى أن يفقد الفرد حذره اثناء اندماجه في تفسير الصور وقص قصة عنها فيتكلم من نفسه دون ان يدري، كما ان الفرد في تأليفه القصة يستغل عادة عناصر من خبراته الخاصة.

وهناك كثير من الدراسات التي قورن فيها المنحرفون بغير المنحرفين على هذا الاختبار غير انه لا توجد دراسة حاولت استخدامه للتنبؤ بالانحراف.

الاتجاهات الحديثة في معاملة الاحداث:

نتجه الجهود الحالية في معاملة الاحداث المنحرفين في الاتجاهات الثلاثة الاتية:

1. الوقاية.
2. العلاج دون الابداع في المؤسسات.
3. الارتفاع بمستوى المؤسسات الموجودة ومراعاة شروط معينة في انشائها.

اولاً/ الوقاية:

تتجه الى تعديل الاتجاهات النفسية الفردية والجماعية واذا كان علينا ان نواصل البحث في اسباب الانحراف يجب الا تقوم البرامج الوقائية على معرفتنا للأسباب وحدها لان هذا لن يكفي لان كثيراً من الاسباب نعجز عن القيام تجاهها باي عمل اذ ماذا يفعل الاخصائي الاجتماعي او القاضي لعلاج النقص في التربية أو الفقر أو الظروف المعيشية السيئة وما اليها. فالأولى ان توجه الجهود الى الاتجاهات النفسية الفردية والجماعية فالاتجاهات يتم اكتسابها بالخبرة وتتكون تدريجياً خلال حياة الفرد وتتكون شعورياً أو لا شعورياً احكامنا عن القيم الاجتماعية، ويكون العمل عن طريق الاسرة والمدرسة والعمل والتنسيق بين الاتجاهات في السياسة الاقتصادية والاجتماعية والصناعية.

قد نتفق مع لو بزراي في بعض أرائه . ولكن لا نتفق معه على ان يكون الاهتمام بالوقاية على حساب العلاج . كما ان نظرته الى الاهتمام بتغيير الاتجاهات الفردية والجماعية تمثل النظرة القديمة التي كانت سائدة عن العلاج النفسي . اذ كان ينظر الى العلاج النفسي على انه محطة للإصلاح على جانب الطريق الوعر للحياة يلجأ اليها الفرد لإصلاح العطب الذي يحل به ليعود للطريق الوعر ثانية . ولكن الخبرة والتجربة قد بينت ان فائدة العلاج لا تتم اذا كان على الفرد أن يعود ثانية إلى نفس البيئة المليئة بالمشكلات التي كانت سبباً في مشكلاته.

ومن هنا وجد ان الضرورة تحتم انه بالأضافة الى تغيير الفرد واتجاهاته بالعلاج. ان يتم تغيير في البيئة التي يعود اليها بالتخفيف من حدة العوامل التي كانت سبباً في اضطرابه. ومن هنا جاء دور الاخصائي الاجتماعي، ويتمكن الاخصائي الاجتماعي بفنه وخبرته أن يعمل الكثير ازاء النقص في التربية والفقر، والظروف المعيشية السيئة وما اليها التي يرى (اوبزراي) انه لن يتمكن من عمل اي شيء ازاءها واذا كان للبرامج الوقائية ان تنجح فلابد أن تقوم على الجهود الجماعية للمواطنين في البيئات المحلية. لذلك يجب ان ينظم الشباب في جماعات تشبع لهم حاجاتهم. والبرامج الجماعية النابعة عن حاجات الجماعات على المستوى المحلي هي التي تهيء توفير الطمأنينة ، والمركز والترويح والتربية والصحة وغيرها من الخدمات الجميع الافراد .

ويجب ان تتجه التربية في المدارس الى تعليم الشباب النظام، والقيم الخلقية وتحمل المسؤولية الاجتماعية، ومن ابسط مبادئ التربية أن الفرد لا يتعلم الا بالممارسة واذا نجحت التنظيمات الطلابية في المدارس في جميع مستويات التعليم فلن يكون ذلك الا بممارسة الشباب الفعلية للنشاطات المختلفة في هذه التنظيمات.

ومن الاتجاهات الناجحة في الوقاية القدرة على اكتشاف من لديهم الاستعداد للجنوح مبكراً فتهيا لهم الخدمات التي قد تغير من السير في طريق الانحراف.

ثانيا/ العلاج دون ايداع في المؤسسات:

تتنوع الطرق التي يستعاض بها عن الايداع في المؤسسات . من ذلك الاختبار القضائي ، والايداع في الأسر البديلة أو معسكرات التأهيل وما اليها فيقضي الاختبار القضائي بوضع المحكوم عليه اذا كان الأمل في اصلاحه ماثلاً بدل سجنه تحت الاختبار، لفترة يكون المحكوم عليه في اثنائها تحت نوع من الإشراف من جانب المحكمة خاضعاً لبعض القيود الواردة على حريته بغير سلبها منه كلية وبغير حرمانه من عمله وبغير حرمان أسرته منه.

ويمكن تلخيص الخدمات التي تقدم للأحداث الموضوعين تحت المراقبة بما يأتي:

1. تشغيل العاملين منهم في مهن مناسبة وبالتالي رفع مستواهم المادي .
2. العناية الطبية بالحدث وذويه.
3. معاونة الحدث وذويه على حل مشكلاتهم المختلفة واصلاح بيئتهم وحياتهم الاجتماعية.
4. حماية الحدث من قرناء السوء ويستعان ، بذلك برجال الأمن .
5. الاشراف على تعليم الحدث، وتنظيم اوقات فراغه ، ورسم خطة له في الحياة يسيرة عليها وتحديد اهداف سامية يسعى اليها.
6. نقل الحدث من بيئته اذا تعذر اصلاحها . كأن يعهد به مثلا الى بعض الصالحين من ذوي قرباه.

ثالثاً/ المؤسسات الحديثة:

يمكننا أن تلخص الاتجاهات الحديثة في سياسة مؤسسات الايداع بما يأتي:

1. انشاء المؤسسات الصغيرة لتحل محل المؤسسات الكبيرة على الا يزيد النزلاء في المؤسسة عن ١٥٠ حدثاً.
2. اعتبار المؤسسة عنصراً واحداً من العناصر الممهدة للعلاج اذ يجب ان تشترك البيئة المحلية في العلاج بتسيير التسهيلات والبرامج المساعدة على العلاج وتتبع المؤسسة سياسة الباب المفتوح حتى تتوطد العلاقة بين المؤسسة والبيئة التي تعمل فيها وتعني سياسة الباب المفتوح فتح المؤسسة لأعضاء المجتمع ليطلعوا على نشاطها ويسهموا في

برامجها ويتكون لديهم الاهتمام بما تقوم به المؤسسة نشاط، كما تعني خروج الاحداث الى البيئة لمزاولة نشاطهم في العمل وتقضية وقت الفراغ والتفاعل مع المجتمع الخارجي.

3. تقديم برامج التدريب المهني مما يؤدي الى اكتساب الاحداث مهارات مهنية داخل المؤسسة وخارجها. ويلخص (كوهين) الفوائد التي تعود على الاحداث من التدريب المهني خارج المؤسسة كما يأتي:

أ- تجريب الحدث في أكثر من عمل وفي أكثر من مجال . فتتنوع الخبرات البي يكتسبها .
ب- تقوية عود الحدث بقضائه فترة خارج المؤسسة يتمكن فيها من اختبار الواقع ومعرفة مستواه المهني والادائي في العمل.
ت- اتاحة الفرصة لجمع الاجر والتدريب على توفير المال والقدرة على التصرف فيه بحكمة.
ث- اكتساب الخبرة في استغلال امكانيات البيئة كالمواصلات . واماكن تقضية وقت الفراغ، ومعرفة المؤسسات التي تمده بالخدمات والتعامل معها كما يتعامل غيره من الافراد الأسوياء.
ج- تفريد العلاج: اذ يجب أن تكون هناك مادة كاملة عن حالة الحدث وتاريخ حياته ، وتوضع خطة العلاج تناسب تكوين شخصيته.
ح- الدقة في اختيار الاخصائيين الذي يتعاملون مع الحدث وقد اكد مؤتمر الوقاية من الجريمة الذي عقد في لندن سنة ١٩٦٠ ضرورة العناية باختيار الافراد العاملين في المؤسسات على الا يقوم الاختيار على المؤهلات العلمية وحدها، بل يجب ان يؤخذ في الاعتبار السمات الشخصية المؤهلة للعمل مع مثل هؤلاء الاحداث.

<u>الاختيار للإيداع في المؤسسات:</u>

من الاحداث المنحرفين يجب ايداعهم في المؤسسات ؟ الإجابة على هذا السؤال نورد بعض المعايير التي يجب الاهتداء بها:

1. هم أولئك الذي يقترفون فعلاً يعاقب عليه القانون اذا ما ارتكبه شخص بالغ.
2. لكي يكون للعلاج أثره عدم الاستغناء عن أي طريقة أو مجموعة طرق توصل إلى الهدف ويتطلب ذلك كل الامكانيات والهيئات الموجودة في البيئة والتي تسمح للحدث بأن يكون حراً خارج المدرسة بدلا من ايداعه فيها اما اذا كان الايداع امراً حتمياً فلتتبع المؤسسة سياسة الباب المفتوح أو شبه المفتوح كلما كان ذلك ممكناً.

وهناك مشكلة يتناولها الاخصائيون بالمناقشة والبحث والتمحيص هي طول مدة الايداع ، وهل تحدد ان تترك مفتوحة ويشير المؤتمر السالف الذكر أن يستحسن أن تحدد فترة العلاج منذ البداية لان المنحرفين البالغين والاحداث يستجيبون ايجابيا حين يكون لديهم فكرة تقريبية عن طول المدة التي سيقضونها في ضوء هذه الاعتبارات السابقة. وفي ضوء التعريف القانوني للانحراف نرى أن كثيراً من مشكلات السلوك. على الرغم من حاجتها للعلاج . لا تتدخل في نطاق انحراف الاحداث . انما هي مظاهر سلوكية تدل على عدم التكيف ولا تحتاج للإيداع في مؤسسات انما

يجب ان يترك امرها للهيئات التي تقوم بالرعاية الموجودة في البيئة، وقد سبق ان بينا انماط المنحرفين، وعرفنا أن من بين هذه الانماط النمط العرضي، ولا يحتاج هذا النمط للإيداع اذ انه في الواقع حدث سوى من وجهة النظر النفسية وان كان القبض عليه يتم لاقترافه عملاً يعاقب عليه القانون إن مشكلات هذا النمط يمكن النظر اليها على انها مشكلات تحتمها مرحلة النمو التي يمر بها الحدث وغالباً ما يقترف الحدث الفعل دون دراية بمدى خطورته.

اما النمط الاعتدائي غير الاجتماعي والذي ينطبق غالبا على الصبية والذي يتميز بالعدوان وعدم القدرة على تحمل الاحباط فيتطلب علاجا خاصا قد لا يتوفر خارج المؤسسات. كما ثبت ان المؤسسات العادية تفشل في علاج هذا النوع لذلك يجب أن تهي لهم مؤسسات خاصة ذات بيئة علاجية خاصة.

اما المرضى بأمراض عقلية أو بالضعف العقلي فيحولون في العادة الى مستشفيات الامراض العقلية أو المؤسسات الخاصة بضعاف العقول والاتجاه الحديث في كثير من البلاد هو تسليم الحدث ذو العاشرة من العمر الى ولي الأمر أو الأسرة مع تطبيق نظام الاختبار القضائي.

القلق:

يمكننا في اللغة العربية ان نفرد مصطلح (القلق) للجانب النفسي بمعنى الضجر وتخصص مصطلح الاضطراب للجانب الفيزيائي بمعنى الضيق ولكننا لا نجد على الرغم من هذه التفرقة تجربة خاصة من المشاركة الجسمية كما لن نجد اضطراباً فيزيائيا يغير تجربة شعورية تتصل بالعالم الخارجي ومعنى هذا فأن التجارب الانفعالية التي تنظم داخل نطاق القلق تفترض بالضرورة استجابات جسيمة.

فاذا كان ولابد من ان نفرق بين المصطلحين فأنه يتحتم علينا ان نبحث عن ذلك من زاوية أخرى فيوسعنا أن نطلق لفظ الاضطرابات على الاستجابات البدنية. للكائن حين يغمره موقف صدمي، ونعني بذلك الافراغات الحشوية غير التكيفية . ولكننا نعلم أن الشخصية لا تكاد تبلغ النضج حتى تبرز ظاهرة جديدة ، تستخدم. الاضطرابات وتفيد منه اذ تحيله الى اشارة خطرة وذلك هو القلق ولكن من الممكن ان يكون الانسان على الرغم من ذلك في حالة لا تمكنه من درء الخطر او اقامة الوسائل الدفاعية ومن ثم يجد نفسه في موقف صدمي على الرغم من الاشارة المنذرة فيغمره الاضطراب . وباختصار فالاضطراب استجابة فسيولوجية غير منتظمة أو غير متخصصة تغمر الشخصية اما القلق فهو الشارة الخطر.

نشوء القلق:

متى يبدأ القلق في حياة الانسان ؟ وما هي اسباب وجوده بالأصل ؟ وما هي العوامل التي تساعد على اظهارها او زيادته او تغيير صورته الى حالة اخرى ؟ كلها اسئلة مازال الجواب عليها في حيز النظريات او حدود التخمين، وفيما يأتي ايجاد لبعض أوجه النظر في نشوء القلق وتطوره الى حالة من المرض النفسي.

1. نظرية ترى ان القلق في الاصل متصل بالخوف ومتفرع منه عن طريق عمليات متعاقبة من الربط وتنتهي هذه العمليات بنسيان المصدر الأول الذي اثار الخوف، ويضل الشعور به مع غموض مصدره، وهذا الشعور مساوي لحالة هذه النظرية اقرب ما تكون لنظرية بافلوف الشرطية، ولا يعلم بالتأكيد الزمن الذي يبدأ فيه الخوف في حياة الطفل، على انه يوجد منذ الاسابيع الأولى في الحياة كخوف من السقوط من علو وخوف من الصوت العالي كما تدل على ذلك ردود الاطفال في مثل هاتين الحالتين.
2. نظرية فرويد: وهي تفيد بأن طبيعة الانسان قد هيأت له امكانية كبت التجارب النفسية المؤلمة وعملية الكبت هذه، في نظر فرويد أكثر ما تكون في سنوات الطفولة، وقد اكد فرويد على ان المواد المكبوتة هي عادة الرغبات الجنسية الفاشلة في حياء الطفل لتعارضها مع القيود التي تمنع تحقيقها والهدف من عملية الكبت هذه، هو تبرير القلق الناتج من بقاء الرغبة والمانع لها في الوعي ويرى فرويد أن القلق هو خوف داخلي . وان احساس الفردية اشارة او انذار للنفس ، بان تجربة ما مكبوتة وغير واعية قد أصبحت مهيأة للظهور الى حيز الوعي مهددة بذلك التكامل النفسي للفرد ووظيفة القلق الناشيء يسبب هذا الانذار هو عين وظيفة الخوف وهو التهيؤ للخطر بأعداد النفس المقاومة الحالة الطارئة من التهديد والخطر. وبالنظر لما لاقاه فرويد من معارضة بسبب تأكيده على الحياة الجنسية في الطفولة كمحور النشوء القلق فلقد عدل نظريته السابقة سنة (١٨٩٤) وجاء بنظرية ثانية بعد ذلك بثلاثين سنة، وفي هذه النظرية يرى فرويد ان القلق هو اشارة او انذار لتجنب حالة تهدد النفس بالخطر مهما كان مصدر هذا الخطر. ومع هذا التعديل فقد ظل فرويد وأتباعه يعلقون اهمية كبري على الحياة الجنسية في الطفولة في التحليل النفسي والعلاج النفسي على حد سواء.
3. نظرية الصراع النفسي: وتفيد بأن القلق هو النتيجة الطبيعية المنتظرة عند التعارض من قوتين عاطفيتين وهذا التعارض تجربة اساسية في الحياة الانسانية ولا بد من قيام هذا التعارض بسبب نبي الانسان والضرورة في أن يأخذ بعين الاعتبار النظم والمقاييس المرعية في مجتمعه وهذا يؤدي الى قيام صراع بين الدوافع الاساسية والفريزية في حياته وخاصة الأرضائها.

وبين المقاييس الاجتماعية والمثل الفردي التي اغتنمتها واكتسبتها بالتجربة والثقافة والتعليم وهذه النظرية وان كانت في بعض محتوياتها تشبه نظرية فرويد . الا انها تعد الدوافع الجنسية محوراً اساسياً لنشوء القلق. وتفتح الباب في الصراع النفسي ليس للرغبات اللاواعية فقط، وانما الرغبات التي يعيها الانسان أي ففي الطفولة يتعلم الطفل بالتهديد وهذا مما يقيد سلوكه وبالتدريج يتمثل في نفسه القوى الرادعة التي كانت تقيده من الخارج، ويكون هذا بمثابة الضمير له وعندما تنضج الشخصية، فأن عجز الفرد عن كبح جماح قوة التعدي وهي مؤذية محطمة في طبيعتها فسيصاحبه دائماً الشعور بالقلق والقلق في هذه الحالة يكون اشارة لوجود اضطراب في داخل الشخصية غير أن الأمر يصبح أكثر تعقيداً عندما يكون هنالك -بالأضافة الى التهديد الداخلي تهديداً خارجي المصدر يشعر به الفرد بخطورته وقد يكون من الصعب أن نتمكن في كل حالة من القلق من التفريق بين المصدر الداخلي للقلق، وبين ما هو مصدر خارجي له فقد يتوفر المصدران في آن واحد وقد يثير الواحد منهما وجود الآخر ويزيد الشعور بخطره وقد يتبين بالبحث والاستقصاء ان

ما اعتبر خطراً خارجياً هو بالحقيقة صورة للخطر الداخلي الكامن في النفس ودليل رمزي على وجوده هناك.

وهناك نظريات مقاربة لنظرية فرويد فمنها (نظرية الكسندر) التي يقول فيها ان القلق متعلق بشكل وثيق بعملية كبت دافع التعدي في النفس وهو يجد بالدافع للتعدي الاساسي الذي ينشأ من كل مرض نفسي ولما كانت -هذه الدوافع للتعدي يجب ان تقيد بالكبت فأن التهديد بفك هذا القيد يؤدي حتما الى القلق في نظره.

وهناك نظرية اخرى ترى أن القلق يتسبب من توفر أحد حالتين الحالة الأولى: الخوف من الاذى. والثانية: الخوف من فقدان الحب. وفي وقت لاحق بنمو الفرد تتفرع اسباب اخرى عن الحالتين السابقتين ويستطيع كل سبب من هذه الأسباب الفرعية أن يثير حالة من القلق أيضاً.

واذ اردنا أن نصف الانفعالات القلقة ضمن التحمل النفسي الذي يعني الفرد في صلته بألوس الحيط به لقلنا ان الارتباك والتشتت يستولي عليه وخطر الاستجابات. والاختلالات حشويه بالأضافة الى الانقباض التشنجي في الحنجرة أو في الاحشاء والارتجاف واوجاع الدماغ ...الخ اما من الناحية النفسية فيستولي على الشخص الشعور بالأعياء والانقباض ويبدو الوسط المحيط بالشخص وكأنه يناصبه العداء او لا يحفل به فيتوقع أن تنزل به كارثة، بمعنى أن يرقبها ويتوقعها بين لحظة وأخرى وتتبع هذه الحالة على ان يشعر به الشخص من خوف امام خطر محدود بتهدده وهناك فارق بين ما يشعر به الشخص في الخوف امام التهديد المحدد المدن اللص الواقف امامه وبين ما يحسه في القلق من تهديد غامض لشيء مجهول غير محدد كما ان هناك فارقاً بين التهديد الذي يتجه الى الحاجة والتهديد الذي يتجه الى الشخص. ففي حالة مسابقة ادبية ذات جائزة مالية يحق لنا أن تسائل عما ان كان المتقدم يهدف الى شرف السبق ام المال.

ان دراسة القلق لم تصع حين يدرس ضمن اطار الصلات البينية وقد أكدت (كارين هورني) ذلك حين انتهت الى تأكيد أهمية الصلات البينية، ومعنى هذا أن القلق الاساسي يكمن وراء كافة صلات الفرد مع الغير فيشعر الفرد بالضالة والقصور عن مواجهة الموقف ويبدو له العالم قوياً عدائياً ويمكننا القول بأن هناك مصدرين للقلق، الأول هو الخوف من العدوان الخارجي والثاني هو الخوف من عدم القدرة على منع العدائية أو السيطرة عليها.

وبالرغم من ان (هورتي) قد تأثرت الى حد بعيد في افكارها بالتصور الفرويدي فأن تغلب العوامل الثقافية والبيولوجية عندها وقد قامت لنا بعض الانماط التي تتخذها المسالك البينية للمجتمع فالطفل على الرغم من عدائيته يجد نفسه مضطراً يحكم الواقع الى ان يتكيف مع حياته الاجتماعية الامر الذي يتمخض عن تكنيكات للتكيف مع العالم الخارجي وهي:

1. الاقبال على الغير: ويتميز هذا السلوك بحاجة الشخص الى رفيق يبادله الحب . ويتميز الشخص المنتمي الى النمط بخضوعه للغير وبالمهادنة والميل عن الانتقام والبعد عن الطموح. وليس من شك في أن العدائية هنا مكبوتة لأنها لا تساير حاجة الشخص الى الحب ومن ثم تتخذ الطاقة النفسية سبيل الاخلاص والتفاني للغير.
2. معارضة الغير: يشعر الشخص المنتمي إلى هذا النمط بضرورة انتمائه للواقعية، التي تبدو له في أن (الانسان ذئب الانسان) ويتجه هدف مثل هذا الشخص في قمع شعوره

بالتبعية وايهام نفسه بعدم ضعفه وهو لا يتبين بطبيعة الحال عدائيته ولا يتعرف عليها لأنه يسقطها على العالم الخارجي.

3. الاعراض عن الغير: ونعني به الانسحاب من العالم. ويتميز هذا النمط بمجز الشخص امام القلق الاساسي، ومن ثم فهو ينحب. وكثير ما يتخذ هذا الاشخاص صورة السلوك القهري وان احتج الشخص بأرغام الظروف الخارجية له على اتخاذ هذا الحل.

ولا تتحدث (كارين هورني) في هذا الصدد بلغة الغرائز وانما بلغة الدوافع المتعلمة. فالانتخاب وهو نمط سلوكي يحقق لصاحبه ميزتين : فهو يقدم له حلا ينأى به عن الصراع - بين الرغبة في الاقبال على الناس والرغبة في الوقت نفسه في معارضتهم هذا الى ما يتجه هذا الحل من صورة مرضية للشخص عن نفسه، وقد يشعر الشخص بمسايرته او بتخلفه عن مثله الشخصي الاعلى ويرجع قيام الصورة المثالية الى حاجة الانسان اليها . فهي من هذا الوجه وظيفة من الوظائف الدفاعية تمد الشخص بالهدف الذي يوجه نشاطه وكثيراً ما يرتبط بهذه الصورة المثالية ما يدخل ضمن ميكانيت زمان الاسقاط. وما ينجم عنه من مسخ من الادراك الاجتماعي وتشويهه فيقيم الشخص للعالم الخارجي صورة تتمشى مع ما له من مثال شخص اعلى.

الشعور بعقدة النقص

اصبح هذا الاصطلاح مشهوراً في عصرنا الحاضر وهو يصف سلوك الفرد السلبي بدلا من الايجابي والذي ينظر الله الحياة نظرة تشاؤمية. وتشمل ايضا جميع التصرفات الشاذة التي تشير الى عدم ثقة الشخص بنفسه الى الدرجة التي تبعده عن مواجهة واقع الحياة أن الذي وضع هذا الاصطلاح هو (سيجموند فرويد) واستخدمه لتعريف المشاعر السلبية الناجمة عن شعور الفرد بنقص نتيجة لضعف في حيوية الجهاز التناسلي وعندما تثبط حيوية الغريزة الجنسية ينتاب الفرد قلق وكأبة وما ينجم من ذذل يكبت في اللاشعور ثم ينشأ المرض النفسي (الشعور بعقدة النقص) فقد برهن أن الشعور بمركب النقص ينشأ وينمو مع نمو الفرد ومنذ تلاقيه من تجارب وظروف قاسية ومؤلمة ليست لها علاقة بالغريزة الحسية، وكل تجربة قاسية تسبب له خوراً في عزيمته تجاه العمل المثير يعد عاملاً مهماً نحو الشعور بمركب النقص والذي يجعل ذلك الشخص مريض النفس والاعصاب.

ان عقدة النقص استعداد لاشعوري مكبوت اي لا يضطر الفرد الى وجوده وينش من تعرض الفرد المواقف كثيرة متكررة تشعره بالعجز والفشل ومتى اشتدت وطان هذا الشعور مال الفرد الى كيته أي إلى انكار وجوده بل والى عدم الاعتراف بنا ديه من عيوب فعلية وان كل ما يذكره بالنقص يحمله على الفور وبطريقة تلقائية الى الدفاع عن نفسه ويستجيب بعنف، ومن الافضل ان نميز هنا بين مجرد الشعور بالنقص وعقدة النقص فالشعور النقص يخص العقل الواعي وهو لا يعد مرضاً نفسياً ولا عيباً فيه، وقد يكون دافعاً لتحسين قدراتنا بينما العقدة وكما لاحظنا تكون جذورها في اللاشعور والمصاب بها لا يكون متزن السلوك لأنه يندفع في سبيل الحصول على التقدير والاحترام او انه ينحب انسحاباً تاماً في المجتمع ليس هناك عبء في الشعور بالنقص لان هذا الشعور سيكون حافز قوي للإنسان لكي يحسن حاله وذلك بمحاولة ايجاد حلول للمشكلة التي تسبب الشعور بالنقص.

وتفسير الانسان لما يملكه من اجهزة جسمية وقابليات واستعدادات هو الذي يقرر نظرته الى الحياة واتجاهه فيها لان ضعف أو نقص أي عضو من أعضاء الجسم لا يسبب سلوكا معينا بل يضع بعض الاحتمالات فيما قد يحصل من النتائج اما اذا فر ذلك النقص في اعضاء جسمه بأنه عيب شائن ففي هذا يكون قد فسح المجال للصراع النفسي وربما تطور الى عقدة.

فالشعور بالتقصير بالواجب لانعدام الكفاءة ينتاب كل فرد بين الحين والآخر وقد يكون مثل هذا الشعور مشجع عند الافراد الطبيعيين للقيام بأعمال مثمرة في كل ناحية من نواحي الحياة وبذلك يشعر الفرد بأنه غير متخلف عن الآخرين فالشخص الذي يشعر بالنقص قد يحاول ان يعوض عن نواحي نقصه تعويضا. مشروعاً سوياً فينجح في ذلك التعويض عن طريق بروزه في نواحي اخرى. ولتذكر الاسباب التي تؤدي الى مستوى عقدة النقص:

1. الاسباب الجسمية: تتصف بالمظهر الجسمي كالنحافة الشديدة أو الضخامة الشديدة أو الافراط في القصر أو الافراط في الطول أو اضطرابات الكلام كالتأتأة والفأفأة ...الخ، وكذلك اضطرابات البصر وعيوبه أو فقد احد الذراعين او الساقين ...الخ. من عيوب الجسم.
2. اسباب عقلية: كالتأخر الدراسي او عدم التعلم أو قلة درجات الذكاء الى دون المتوسط كالبله والهوس.
3. اسباب اجتماعية: كان يكون الفرد غير مرغوب او غير بارز بين افراد جماعته او غير نافع لمن حوله او ان ليس له صديق لسوء تفاعله مع الاشخاص أو سوء الحالة الاقتصادية والثقافية ... الخ.

ومن العوامل قد تكون هذه الاسباب الثلاثة متداخلة في بعضها البعض فأسباب النقص الجسمي قد يسبب نقصاً عقلياً وتؤدي إلى نتائج اجتماعية، وهكذا فالطفل الذي يختلف يمتلك نقصاً أو عامة جسمية ويشعر به واذا تظافرت العوامل البيئية لتنظيم ذلك الشعور فيصبح شخصاً انطوائيا معزولاً عن المجتمع فيكبت مشاعره المؤلمة في اللاشعور وستكون سبب اضطراباته النفسية والعصبية والعقلية مستقبلاً، فيجب على الكبار اتباع الاساليب التربوية السليمة مع الاطفال من هذا النوع بحيث يستأصلون تلك المشاعر من نفوسهم.

هناك ما يسمى (بالطفل المدلل) الذي يؤدي الى عدم الاعتماد على نفسه في مواجهة متطلبات البيئة فعندما سيدخل هذا الطفل معترك الحياة العملية مستقبلاً سيقع في صراع من جراء عدم انتباهه او اهتمام الغير به كما كان يجد ذلك من والديه في طفولته . واذا لم ينل ما يبتغيه من مجتمعه سيشعر ان كل فرد يحط من قيمته وسينعكس ذلك على سلوكه فقد يكون شخصاً منحرفاً او غير منتج.

وكذلك يقال بالنسبة للطفل الغير مرغوب فيه من قبل افراد عائلته الذي . تستخدم معه أساليب العقاب المختلفة وستنمو معه نظرة حقد على بيئته ومن ثم على المجتمع وسيستمر هذا الشعور لشعوره بأنه غير مقبول من قبل افراد مجتمعه وسيولد هذا الشعور لديه روح الاجرام واغتصاب اموال الآخرين اي سيعبر عن مشاعره المكبوتة بسلوك منحرف تجاه مجتمعه.

لذا فينبغي أن يوجه الاطفال التوجيه السليم للاعتماد على النفس بكل شجاعة وحلم بدلاً من اتباع طرق العقاب . والتأكيد على استخدام اساليب الثواب وخلاصة . هذا كله أن عقدة النقص هي في صميمها جهاز دفاعي يعمل تجنيب الشخص الشعور الاليم . بالنقص، فيتصرف في المواقف التي كان من الممكن ان تولد هذا الشعور عنده على نحو ما يستح له ان يموه على نفسه وعلى غيره وتسير الأمور على ما يرام ما استطاع الفرد أن يسلك السلوك الصحيح في تلك المواقف فان شعر بمهاجمة الغير في جهازه الدفاعي فانه يتحول الى الاعتداء في حساسية مرنة.

الإحباط:

هو رد فعل سلبي يحدث عندما يواجه الشخص عقبات أو مقاومة تمنعه من الوصول إلى ما يريده أو يتوقعه ويرتبط الإحباط بمشاعر مثل الغضب، الانزعاج، وخيبة الأمل ، وقد يؤدي إلى تغيرات في السلوك أو المزاج وفي السياق الاجتماعي، يمكن أن يكون الإحباط نتيجة تفاعلات مع الآخرين، مثل التمييز، الإقصاء، أو عدم التقدير، مما يؤثر على شعور الفرد بالانتماء والقبول فاذا تحدثنا عن الحرمان في حالة حاجات تتصل بالشخصية كالحاجة إلى الامن والحب وتقدير الذات . فأننا نفعل ذلك عن طريق المجاز او التوسع في مفهوم اللفظ ويرى (ماسلر) انه من الافضل ان يقتصر اصطلاح الحرمان على الحالات التي لا يتحقق فيها الارضاء للحاجات العضوية. بينما يستخدم اصطلاح الاحباط للدلالة على التهديد الذي ينال الشخصية من اثر الحرمان ان الحياة الاجتماعية لها دور خطير في هذا الميدان سواء فيما يتصل بكم الاحباط ، او بطبيعته أو فيما تنطوي عليه من تناقض داخلي فنجد من ناحية كم الاحباط ان بعض المجتمعات تتضمن القدر اليسير من الحرمان من الحياة. مجتمع آخر سلسلة من الحرمان المتصل . او نجد الانتظام الاجتماعي الي ان ينظر إلى نفسه نظرته إلى محيطه. فهذه المجتمعات تولد في الفرد الرغبات والحاجات. وتحكم عليه في الوقت نفسه بالحرمان.

ومن هذا طبيعة الاحباط، فكل مجتمع يشتمل على ذواه تتصل على الاقل بطريقة الاحباط.

كما نجد ايضاً مظاهر الاحباط في الميدان الغذائي مما يتضح من تحديد أوقات للرضاعة والوجبات لا يكاد يسمح بشيء خلالها وطريقة الفطام القاسية كلها تنشئ البذور الأولى للإحباط كما ان عدم ارضاء حاجات الطفل وحرمانه جسمياً أو نفسياً واذا تظافرت العوامل الاجتماعية التي تقوى الشعور بالإحباط وخلال فترة المراهقة الى مرحلة النضج سيصاب الفرد بإحباط شديد ويثار بواسطة الحياة الاجتماعية وبشتي وسائل الدعاية والاعلان ووسائل اخرى وخاصة ما يتعلق بالحاجة الاقتصادية.

ان المجتمع له دور هام بشعوره بالحرمان وان اختلف هذا الحرمان جميعاً لشخصية الفرد ومعنى هذا ضرورة اعتبار الاسباب الفردية الى جانب الاسباب الاجتماعية في تحديد ظاهره الاحباط ويسعي فدا تتصل بالأسباب الفردية ان نشير اولا الى التبعية المتبادلة فيما بينها وبين الاسباب الاجتماعية فيمكن بذلك ارتباط بين ماضي الشخص ومدى تسامحه ازاء الحرمان فالحرمان حين يتعاقب على الطفل يتمخض عن عدم القدرة على التسامح اتجاه الحرمان ومن هنا ينبغي مراعاة ارضاء حاجة الطفل.

وتظل المنافسة في العادة على مستوى لا شخصي ودون المستوى الاجتماعي مادام الانتباه يظل مركزاً على الاهداف التي يسعى اليها الافراد فاذا ما تحول الاهتمام من الاهداف إلى الافراد انفسهم ظهرت لدينا عملية تسمى بالخصومة وهي عملية تنافس بين الاشخاص اذ يرغب المتنافس فيها في الحصول على ما تبقي لحرمان الآخرين منه بهزيمتهم أي ان الغرض هنا لا يتحقق الا بهزيمة الآخرين وكلما اشتد التنافس كلما زادت العداوة وتكون الحصيلة ما يسميه علماء النفس الاجتماعي بالتنافس العدواني او الصراع اما لماذا ينقلب التنافس الى صراع فهذا يعود الى ان المنافسة تستمر بين المتنافسين اذا كان هناك اتفاق مع المعايير التي تتحكم في النافية وتفسير هذه المعايير وقد يكون التنافس والتعاون والصراع ومشتقاتها بين الجماعات أو بين الفرد والجماعة والمبادئ التي تتحكم في هذه العمليات ليست واحدة في هذه المستويات الثلاث فتهديد تكامل الجماعة مثلاً يكون اكبر بالصراعات التي تقوم داخل الجماعة على عكس مما لو كان هذا الصراع بين الجماعات اذ الثابت ان الصراع بين الجماعات يقوى التعاون الداخلي في الجماعة الواحدة ويجدر بنا هنا الى التطرق الى ذلك الصراع النفسي.

الصراع النفسي:

فهو ذلك النزاع الذي يقوم بين رغبات الفرد ودوافعه وغرائزه الاساسية من ناحية - وبين مقايسة ومثله الاجتماعية والخلقية والشخصية من ناحية أخرى وقد يكون هذا الصراع واعياً جزئياً او كليا وقد يكون على مستوى غير واع تماماً والصراع النفسي الغير واعي هو الأكثر اهمية في تطوير الشخصية واعطاء معالمها وفي احداث الاضطرابات النفسية ان الطفل يولد وهو متزود بمجموعة من الدوافع الفريزية التي تسمى الى الارضاء والاشباع وهذا الارضاء بعد أمراً لازماً ويكون استجابة طبيعية وضرورية للدوافع البيولوجية التي اختص بها الطفل بحكم تكوينه. ويلاقي الطفل الصغير عادة ممانعة في ارضاء هذه الدوافع وعلى الاقل فان أي ممانعة أو تقصير في الارضاء لا يأتي من جانب الطفل نفيه لعدم وجود جهاز نفسي للمنع (الضمير) في مثل هذه السن المبكرة وبازدياد نمو الطفل يزداد وعيه لرغباته وتحسسه بدوافعه ويصاحب هذا الازدياد ادراك متزايد بأن ارضاء بعض هذه الرغبات والدوافع بشكل واضح وتام لا يتفق مع القيود والقيم والمثل والعادات المرعية والمعمول بها في المجتمع الذي يعيش فيه سواء كان ذلك في حدود علاقته مع والديه او ضمن نطاق العائلة أو في حدود المجتمع بمعناه الواسع فان

الفرد في ادوار نموه من الطفولة الى ما بعدها ويتعرض تدريجيا وبشكل متزايد الى الصراع بين قوتين متعاكستين في الاتجاه القوة الأولى (تسعى الى التوافق مع العادات والتقاليد والقيم التي اكتسبها الفرد من العائلة والمدرسة والمجتمع). والقوة الثانية (ومعظمها غير واع تهدف الى ارضاء الرغبات والحاجات في نفسه وهذه الحيرة والنزاع بين الفوتين هو ما يعبر عنه بالصراع النفسي).

العدوان:

هناك تعريف بسيط للعدوان وهو أي عمل كان يهدف الى الاضرار بالناس الممتلكات. ولكن هذا التعريف يصف معظم (وليس كل) حالات العدوان. ولو ا كثيراً من العدوان البشري يتم لفظياً، الا اننا يجب أن تؤكد على العدوان البدني) لا توجد ابحاث كثيرة عن العدوان اللفظي، ولكننا نعرف ان كلا النوعين من العدوان يحدثان احياناً مجتمعين، وليس من الضروري أن يتلازم الغضب والعدوان، فيمكن ان يؤدي الغضب الى سلوك صامت أو الى الانسحاب أو الى الانهيار أو الى سلوك بناء والعدوان بدور. يمكن أن يحدث نتيجة للبواعث دون ان يكون ضالة اي غضب سابق وهنا فنحن نميز بين عدوان ناتج عن غضب وعدوان ناتج عن باعث الا ان كلا النوعين -يمتزجان ويصعب التفرقة بينهما.

ويعتقد كثير من الناس - وهم على خطأ ان العدوان هو الوسيلة الوحيدة لتهدئة الغضب، وهذا غير صحيح فقد بينت الابحاث التي اجراها (جاك هوكانون) وزملاؤه أن معتقدات الفرد تؤثر على نوعية الاسلوب الذي يتبعه ليقلل من التوتر المصاحب للغضب وتوحي هذه الدراسات بأن اي رد فعل يرتبط بتجنب العدوان من قبل الآخرين يمكنه أن يقلل من الغضب ومن الاشياء التي تؤدي الى الغضب ومن ثم تثير العدوان (الاحباط) الالم الجدي والتقريع والاهانة والتهديد، وقد يكون العدوان احياناً ناجماً عن الباعث فالضغوط الاجتماعية المشبعة تؤدي الى العدوان او بالأخرى الاعمال العدوانية فبين محترفي الاجرام من افراد العصابات يعطى اعلى تقدير لأعمال الهجوم التي يمكن ان يشاهدها اعضاء العصابة فالقسوة تكسب عضو العصابة هيبة واحتراماً وتقديراً ذاتياً.

لقد قمنا بوصف اسباب العدوان المعروفة : ويبقى ان تعرف ان البيولوجيا والخبرة يؤثر كلاهما على المكان والزمان والكيفية التي يقوم بها الفرد بالعدوان على غيره.

التكوين البيولوجي والقدرة على العدوان:

هل هناك غريزة وراثية ؟ كان (فرويد) يؤمن أن الناس يولدون بغريزة تدفعهم الى القتل والتخريب يرد فرويد ان غرائز العدوان تتراكم بكيفية ما ثم تزداد الى حد غير معقول وتتفجر في النهاية في صورة عنف مفاجئ.

يعتقد بعض الدارسين انه على حق وهذا هو رأي (كونراد لورنز) عالم السلوك المقارن ايضاً، ففي رأيه ان كل الحيوانات ومنها الانسان تولد بغرائز عدوانية تعينها على البقاء الى قيد الحياة وترث الحيوانات المتوحشة ضوابط الكف ضد الحيوانات التي من نوعها بشدة الخطر.

ولكن حتى الآن لم يظهر دليل مقنع على ان هناك حاجة للقتال تظهر تلقائياً من داخل الحيوان . ويبدو على العكس ان العدوان لابد له من مثير وكما قال احمد علماء السلوك : « ان الشخص السفيد الذي يعيش في بيئة لا تثير العدوان لن يماني من آثار فسيولوجية او عصبية لآنه لا يقاتل»

هل انماط العدوان عند الحيوان غريزية ؟ أن معظمها جاء عن طريق التعلم وحتى القتال بين الاعداء الطبيعيين " كالقط والفأر" مثلاً يتأثر بالخبرة. وقد بين ذلك عالم النفس (زنج يانج) فقد قام بتربية بعض صغار القطط مع امهات آكلة الفئران وربى قطط اخرى مع فئران كرفقاء وقطط اخرى ربيت وحدها وكانت النتيجة ان حوالي ٨٥٪ من القطط التي تربت مع امهات اكلة الفئران اصبحت شرهة للفئران. وحوالي ٤٥٪ من القطط التي تربت في معزل قامت بمهاجمة الفئران فيما بعد و ١٧ % فقط من القطط التي تربت مع الفئران هاجمت هذه القوارض وحتى في ظروف الجوع الشديد فان نسبة ٧٪ اضافة من القطط غير اكلة الفئران يمكن تحريضها على قتل الفأر وبعد تدريب خاص (مشاهدة قطة بالغة تقتل فاراً)، وبعد أن عاش معاً منذ الطفولة فان ارتباطاً قوياً قد وجد بين القطط والفئران حتى ان القطة قد تحيط بالفار لحمايته وتصرخ مواء في وجه القطة المعتدية.

اما البشر فيتعلم باستمرار عن العدوان من خبراتهم في اسرة معينة وثقافة معينة وبما ان البشر يتعلمون باستمرار فالخبرة لها دور كبير في الارتقاء بالعدوان ومنعه، فاللثقافة والاسرة دور في تحديد مستويات العدوان والتي تؤثر على انماط الدروس التي يتعلمها الاطفال، وهما يضعان الشروط التي تكف او تشجع ايذاء الآخرين.

فينشأ العدوان عند الطفل عندما يكتشف انه يستطيع ان يجعل الاخرين يسايرون رغباته بإيذائهم وكلما ازداد علماً بدوافع الآخرين ، ازدادت مهارته في استخدام هذه الوسيلة من وسائل السيطرة. وتتحدد انواع الاساليب التي يتعلمها الطفل بنوع الاستجابات التي تصدر عن الوالدين وغيرهما وكما ان المدى الذي يصل اليه دافع العدوان عنده يتوقف على ما تنطوي عليه استجابات الوالدين والكبار من اثابة حين يسلك سلوكا مؤذياً أو عدوانيا.

وينشأ العدوان في الغالب من احساسهم ينبذ ابائهم ومعلميهم لهم الا بإحساس عميق بالنقص ، أو قد تكون انواع السلوك التي تشجعها الاسرة سببا من اسباب العدوان . فقد يعتقد الاباء ان ما يبديه الاطفال من سلوك عدواني ضروري لنجاحهم في الحياة ، ومن ثم فهم يشجعونهم على القيام بهذا النوع من السلوك.

ولا يقتصر العدوان على سن معينة ولكن يظهر في جميع الاعمار ويرى احد المربين ان العدوان يبدو بوضوح في السنة الأولى عند الفطام والتي تحدث فيها تغييرات اساسية في حياة الطفل ويظهر العدوان ايضاً عند مجيء مولود جديد للأسرة وعند انتقال الطفل من البيت الى المدرسة

وقد ينتج العدوان في حالات التربية الجامدة القاسية التي تكبت ما لدى الطفل من حرية في التعبير والنشاط التلقائي وكذلك اذا شعر الطفل بإهمال بيئته وعدم تقييمها وان الآخرين لا يعيرونه اهتماما فهنا يكون عدوان الطفل وسيلة لجذب انتباههم واهتمامهم نحوه، ولكي يثبت شخصيته التي لا يعترفون بها.

وهناك ثلاثة عوامل يتوقف عليها ميل الطفل لكي يكون عدوانياً:

1. شدة رغبته في ايذاء الآخرين وإيلامهم.
2. درجة احباط البيئة واثارتها للميول العدوانية.
3. كمية القلق والشعور بالأثم المرتبط بالعدوان.

وللموقف العائلي أثر في العدوان فاذا عوقب الطفل على هذا السلوك فيترتب على هذا ان يتعلم الطفل الكف عن الاستجابات العدوانية والطفل الذي يواجه العقاب الصارم على العدوان في الاسرة قد يستجيب استجابات عدوانية في موقف متسامح كما يحدث أثناء لعبه بالعرائس، ولكن هذا الطفل قد يكف السلوك العدواني في الظروف الاجتماعية كالتي نجدها في دور الحضانة والتي هي أكثر شبها بالظروف الأسرية من ظروف اللعب بالعرائس فالظاهر أن العقوبات القاسية التي يعاني منها الاطفال من امهاتهم قد تؤدي بهم الى كف الاستجابات العدوانية وان هذا الكف قد يطرأ عليه التعميم حتى يشمل دور الحضانة لكننا نجد مع ذلك ان كف الاستجابات لا يعني ان الدافع العدواني قد اشبع ، وذلك لان اللعب بالعرائس الذي يقل احتمال عقاب الاستجابات العدوانية فيه اظهر ان اطفال الامهات شديدات العقاب يصدر عنهم قدر أكبر من العدوان نحو العرائس فقد اظهرت دراسة (بان) ١٩٧٣ التجريبية لاحظ سلوك عدواني للأطفال من خلال لعبهم بدمى تمثل الاشخاص المحيطين بهم في العائلة من خلال ضربها وهذا يعطي فكرة عن سبب السلوك.

ولقد بينت بعض الدراسات أن الامهات اللائي يسمحن بالعدوان في بعض المناسبات الاخرى ينشأ ابناؤهن في غاية العدوان. وان مدى تعبير الاطفال عن العنوان في موقف من المواقف يعتمد على:

1. كمية الاحباط في هذا الموقف.
2. مقدار التسامح أو العقاب الذي يواجه به العدوان في هذا الموقف.
3. ما لدى الطفل من قلق من التعبير العدواني.
4. السهولة التي يؤدي بها الاحباط عامة الغضب عند الطفل.

او بعبارة اخرى مبلغ تحمل الطفل للإحباط، ويلاحظ ان اطفال البيئة الواحدة يسود العدوان سلوك البعض منهم ويتراوح السلوك العدواني للأطفال من حيث الشدة بين مجرد التعبير الكلامي الهادئ وبين التشاجر العنيف، كما قد يصل هذا السلوك الى محاولة ايذاء الغير أو التدخل فيما يملكون أو فيما يقومون به من نشاط او لعب، ويميل كثير من الاطفال الى المعاكسة بعد دخولهم المدرسة الابتدائية والسبب في ذلك ان جو المدرسة يكون جواً مقيدا لحرية الحركة وحرية التعبير ولا يسمح به لأثبات ذاته اثباتاً كافياً، ومع ذلك فتصبح انفعالاته اقل شدة وحدة، فتكون مرحلة هدوء نسبياً ، فيحاول الطفل ان يسيطر على نفسه، ويبذل جهدا لكي لا تتعارض رغباته مع المجتمع ويتوافق مع الآخرين من الكبار والصغار. وعدوان الاطفال في هذه المرحلة ليست في الاغلب

الا اتجاهات يستمد من الناس الذين يحتكون بهم ومن المقربين على وجه الخصوص، وان العدوان يؤثر على تعليم الطفل في المرحلة الابتدائية اذ يعطل رغبته في التعليم وجعل تركيزه في اي عمل امراً متعذراً، وافضل طريقة يستطيع فيها الاباء منع اطفالهم من العدوان هي أن يوضحوا لهم بوضوح أن العدوان غير مرغوب وان يوقفوهم عند حدهم، ولكن مع تجنب العقاب البدني، لآنه سيؤدي الى انفجارات عدوانية اكثر فيما بعد. وبالإضافة الى. ذلك فانهم سيزودون ابنائهم بالمثل الحي على استخدام العقاب في نفس اللحظة التي يحاولون فيها تعليم الطفل الا يكون عدوانياً، فالعطف على الطفل من قبل الوالدين من اهم حاجاته الاساسية.

وعلى المدرسة ان تساهم في السيطرة على النزعات العدوانية عند الاطفال وتوجيهها فتزود المدرسة بالألعاب الرياضية والتي تعتبر كصمام امان لتصريف المشاعر العدوانية عند الاطفال، وكذلك تزود المدرسة بالمجلات الفكاهية والافلام السينمائية الهادفة ...إلخ.

وهكذا من كل ذلك نستخلص الى ان نمو الطفل من حيث قدرته على الاتصال بالغير واتاحة الفرص له بهذا الاتصال، وتعدد المواقف التي يمارس فيها التعامل مع الغير واستمتاع الطفل باللعب للنوع الحر كل ذلك يؤدي الى الاقلال من مظاهر السلوك العدواني غير المرغوب فيه، لان السلوك العدواني كما علمنا ناتج عن خطأ في العلائق النفسية بين الفرد وبين عائلته، أو بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه واذا لم تعالج هذه الاسباب فيستمر هذا السلوك ويتعاظم عن مرور الزمن ويؤدي الى الانحراف لدى الاحداث ومن ثم الى الاجرام. وقد يصاب بالمرض النفسي السايكوباثي وفيه يقوم الفرد بأعمال التعدي بشكل اندفاعي سريع على الغير واحياناً يتوجه الفرد الى ابناء نفسه في بعض الحالات ولا يكترث للعواقب المترتبة على اعماله، كما لا يغير في اصلاحه اي اجراء تأديبي او عقابي مهما كانت شدته ومهما تكرر تطبيقه الى غير ذلك من السلوك المنافي للمجتمع.

كل التمنيات لكم بالتألق والنجاح المستمر

محمد عباس